تفسير

سورة الشعراء[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) قال مقاتل ٤٨ أ : «سورة الشعراء مكية ، غير آيتين فإنهما مدنيتان ؛ أحدهما : قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ [الشعراء :١٩٧] ، والأخرى قوله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء :٢٢٤] . وبعض أهل التفسير يقول : «إن من قوله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى آخرها ، وهن أربع آيات مدنيات ، والله أعلم بما أنزل» . قال ابن قتيبة : «سورة الشعراء مكية كلها إلا خمس آيات من آخرها» . غريب القرآن ٣١٦ ، فإن كان المراد بالخمس من : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ فإن هذا لا يستقيم ؛ لأنهن أربع آيات من [٢٢٤-٢٢٧] .

قال الثعلبي ٨/ ١٠٦ ب : «سورة الشعراء مكية إلا قوله : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخر السورة فإنها مدنية ، وتبعه الماوردي ٤/ ١٦٣ ، ولم يذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٠ ، ولا الوجيز ٢/ ٧٨٦ خلافاً في مكية السورة كلها من دون استثناء . وحكاه ابن عطية ١١/ ٨٥ ، قول جمهور الناس . وأخرج ابن الضريس ، وابن مردويه عن ابن عباس ، قال : أنزلت سورة الشعراء بمكة . وأخرج ابن مردويه ، مثله عن عبدالله بن الزبير . الدر المنثور ٦/ ٢٨٨ .

قال القاسمي ١٣/ ٤ : «قال الداني : رُوي بسند صحيح أنها نزلت في شاعرين تهاجيا في الجاهلية ، مع كل واحد منهما جماعة . فالسورة على هذا كلها مكية» . وقد ذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٠ حديث أُبي بن كعب في فضل هذه السورة ، وكذا الطبرسي ٧/ ٣٨٦ ؛ وهو حديث موضوع ، تخريج الزيلعي للكشاف ٢/ ٤٨٣ ، والفتح السماوي ٢/ ٨٩٠ ، وقد سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان .

وعدد آياتها مائتان وسبع وعشرون آية . تفسير الطوسي ٨/ ٣ ، ومصاعد النظر ٢/ ٣٢٥ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٥٠ ، قال ابن كثير ٦/ ١٣٥ : «ووقع في تفسير مالك المروي عنه ، تسميتها : سورة الجامعة» . قال ابن عاشور ١٩/ ٩٨ : «اشتهرت عند السلف بسورة الشعراء ؛ لأنها تفردت من بين سور القرآن بذكر كلمة الشعراء ، ثم قال في تسميتها بالجامعة ، ولم يظهر وصفها بهذا الوصف ، ولعلها أول سورة جمعت ذكر أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية» .

١. ﴿طسٓمٓ﴾ . قال الوالبي عن ابن عباس : ﴿طسٓمٓ﴾ قسم ، وهو من أسماء الله عز وجل[١] .

وقال عكرمة عنه : عجزت العلماء عن علم تفسيرها[٢] .

وقال مجاهد : ﴿طسٓمٓ﴾ اسم السورة[٣] .

وقال قتادة : هو اسم من أسماء القرآن[٤] .

وقال محمد بن كعب : أقسم الله سبحانه بطوله وسنائه وملكه[٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٥٨ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٧ ، كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٠٧أ ، قال البغوي ٦/ ١٠٥ : روى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٧أ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٦٩ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٧ أ ، ولم أجده في تفسير مجاهد .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٣ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ٥٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٧ ، من طريق آخر عنه ، وفيه زيادة : «اسم من أسماء القرآن ، أقسم به ربك» . وبهذه الزيادة ذكره الثعلبي ٨/ ١٠٧ أ ، عن قتادة وأبي روق .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٧ أ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٠٥ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٧ ، عن محمد بن كعب : «الطاء من الطول ، والسين من القدوس ، والميم من الرحمن» . وفي تنوير المقباس ٣٠٦ : «يقول : الطاء طوله وقدرته ، والسين سناؤه ، والميم ملكه . ويقال : قسم أقسم به» . وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٧ ، عن الحسن البصري ، قال : «فواتح افتتح الله بها كتابه أو القرآن» . وقد ذكر الماوردي ٤/ ١٦٤ ، عمَّن لم يسمِّه من أهل الخواطر آراءً غريبة في بيان معاني هذه الأحرف ، ونحو ذلك ذكر الرازي ٢٤/ ١١٨ ، وقد أطال في ذكرها البرسوي ، في تفسيره ٦/ ٢٥٨ ، قال أبو حيان ٧/ ٥ : «وتكلموا على هذه الحروف بما يشبه اللغز ، والأحاجي فتركت نقله إذ لا دليل على شيء مما قالوه» . وهذا موقف حسن ، والأقرب أن هذه الحروف ابتُدِئ بها للدلالة على الإعجاز والحدي ، وأن هذا القرآن مكون من هذه الحروف التي تنطقونها وتتكلمون بها ، فهي لا تدل على معنى في أصل وضعها . انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٥٦ ، ١٦٢ .

واختلف القُرَّاء في إخفاء النون وتبيينه من : ســم[١] . والوجه التبيين ؛ لأن حــروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها ، وإذا كان كذلك وجب التبيين ؛ لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحــرف من حروف الفم ، فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب إخفاءها[٢] .

ووجـه إخفائهـا أن همزة الوصل قـد وصلت ، ولم تقطع مـع هذه الحروف ، وهمـزة الوصل إنـما تذهب في الدَّرْج ، فكما سـقطت همزة الوصـل في : ﴿الٓمٓ﴾ ، وهـي لا تسـقط إلا مـع الـدَّرْج ، كذلك لا تُبـين النون ويقـدَّر فيهـا الاتصال بما قبلهـا ولا يقدَّر فيهـا الانفصال[٣] .

٢. وقوله : ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ تفسـيره قد تقدَّم في قوله : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة :١ ، ٢][٤] ، وقوله : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ في ابتداء سورة يوسف .

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (طَسـم) بفتح الطـاء ، وإدغام النون ، ولم يظهر النون في (طسم) غير حمزة من السبعة ، وشاركه في ذلك أبو جعفر . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٠ ، والحجة للقراء السـبعة ٥/ ٣٥٥ ، وابن خالويه في إعراب القراءات السـبع وعللها ١٣٠/ ٢ ، والأزهري في معـاني القراءات ٢/ ٢٢٣ ، ثم قال : «وإدغام النون في الميم حسـن ، لقـرب مخرجيهما ، ومن اختار التبيين حسن» ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ١٩ .

(٢) في (أ) و(ب) : (إخفاء هذا) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٥٦ بنصه .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة البقرة :«قال أبو الهيثم : ذا ، اسم كل مشار إليه يراه المتكلم والمخاطب ، كقولك : ذا الرجل ، وذا الفرس ، فإذا بعد المشـار إليه زادوا كافاً ، فقالوا : ذاك الرجل ، وهذه الكاف ليسـت في موضع نصب ولا خفض ولا رفع ، وإنما أشبهت كاف أخاك وعصاك فتوهم السامع أنها في موضع خفض ، فلمَّا دخل فيها هذا اللبس زادوا : لاماً ، فقالوا : ذلك أخوك» .

٣. قوله : ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ . قال أبو عبيدة : مهلك نفسك[١] ، وقال المبرِّد : الباخع : المهلك ، يقال : بخع زيد نفسه إذا أهلكها ، وبخعه الحب إذا أهلكه وأذابه[٢] .

وأنشد أبو عبيدة :

ألا أيُّهذا الباخعُ الوجْدُ نفسَهُ لشيءٍ نَحتْهُ عنْ يَديه المقادرُ[٣]

ومضى الكلام في تفسير الباخع في نظير هذه الآية : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ [الكهف :٦] .

قال المفسرون : لَمَّا كذَّبت قريش رسول الله ﷺ شق ذلك عليه ، واشتد حتى أثر فيه ، وكان يشتد حرصه على إيمانهم فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية[٤] ، وهي كالإنكار عليه شدة حرصه ؛ وذلك أنه كان يعلم أن الله -عز وجل- إن لم يهدهم لم يهتدوا ، فما يغني عنه[٥] حرصه على إيمانهم ، واشتداد تكذيبهم عليه[٦] .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٥ .

(٢) قال الزمخشري ٣/ ٢٩٠ : «البخع : أن يبلغ بالذبح البخاع ، وهو : عِرق مستبطن الفقار ، وذلك أقصى حد الذابح» ، وذكره الرازي ٢٤/ ١١٨ ، ولم ينسبه .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٣ ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وهو في ديوانه ٣٦١ ، وفيه : عن يديك ، وفيه : الباخع : القاتل ، ونحته : عدلته وصرفته والوجد : الحزن . وأنشده المبِّرد في المقتضب ٤/ ٢٥٩ ، وابن جرير ١٩/ ٥٨ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١/ ١٦٨ ، ولم ينسبوه ، وذكره الماوردي ٤/ ١٦٤ منسوباً إلى ذي الرمة بلفظ : (بشيء نحته) .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٧ أ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها : (عنه) ، وفي الوسيط ٣/ ٣٥٠ : (عنهم) ، وهي أولى .

(٦) تفسير مقاتل ٤٨أ بمعناه وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٠ .

قال ابن عباس في قوله : ﴿بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾ : قاتل نفسك[١] .

قوله تعالى : ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : موضع (أن) نصب مفعول له ، المعنى : لعلك[٢] قاتل نفسك لتركهم الإيمان[٣] .

ثم أعلم -عز وجل- أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على ذلك إلا أنه -عز وجل- تعبدهم بما يستوجبون به الثواب مع الإيمان ، ولو نزل على كل من عَنَدَ عن الحق عذابٌ لخضع مضطرّاً ، وآمن إيمان من لا يجد مذهباً عن الإيمان[٤] ، وهو قوله :

٤ . ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ . قال ابن جريج : ولو شاء لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية[٥] ، وقال قتادة : لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله[٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٥٨ ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٧٣ ، عن قتادة ، وعنه ابن جرير ١٩/ ٥٨ ، وهو في تفسير مقاتل ٤٨أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٨ ، عن مجاهد ، ثم قال : «وروي عن الحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، وعطية ، والضحاك مثل ذلك» ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٠٧أ ، ولم ينسبه . وذكر الماوردي ٤/ ١٦٤ ، عن عطاء وابن زيد : «مخرج نفسك» ، وذكره الطوسي ٨/ ٤ ، عن ابن زيد ، بلفظ : (مخرج نفسك من جسدك) .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (أهلك) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٢ ، ونحوه في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٥ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ٥٩ ، واختار النحاس قول أبي إسحاق في إعراب القرآن ٣/ ١٧٤ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٢ ، باختصار .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٥٩ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٠٧أ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٣ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ٥٩ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٠ ، وأخرج ابن جرير ١٩/ ٥٩ عن ابن عباس : «ملقين أعناقهم» . ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس :٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود :١١٨] . قال ابن كثير ٦/ ١٣٥ : «فنفذ قدره ، ومضت حكمته ، وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم» . =

قال أبو إسحاق : قوله : ﴿فَظَلْتَ﴾ معناه : فتظل ، والجزاء يقع فيه لفظ الماضي بمعنى المستقبل ، تقول : إن أتيتني أكرمتك ، معناه : أكرمك[١] . وهذا الذي ذكره[٢] مختصر مما بسطه الفرَّاء ، وهو أنه قال : لك ﴿إن﴾ تعطف على مجزوم الجزاء بفَعَل ؛ لأن الجزاء يصلح في موضع يفعَل فعل[٣] ، ألا ترى أنك تقول : إن زرتني زُرتك ، وإن تزرني أزرك ، والمعنى واحد ، ولذلك صلح ﴿فَظَلْتَ﴾ مردودة على يفعل ، وأنشد :

إنْ يسمعُوا ريبةً طاروا بها فرَحاً[٤]

بمعنى : يطيروا .

= وذكر الثعلبي ٨/ ١٠٧أ ، بإسناده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قولاً غريباً في المراد بهذه الآية ، قال : نزلت هذه الآية فينا ، وفي بني أمية ، قال : سيكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، وهوان بعد عزة . وقد تبع الثعلبي في سياق هذه الرواية من دون تعليق عليها عدد من المفسرين ، كالزمخشري ٣/ ٢٩١ ، والطبرسي ٧/ ٢٨٩ ، والقرطبي ١٣/ ٩٠ ، وقال بعد سياقها : «فالله أعلم» ، وأبو حيان ٧/ ٧ ، ولم يتعقبها . وقد أحسن الواحدي في إعراضه عن ذكر هذه الرواية في تفاسيره الثلاثة ، وإن كان الأَوْلى أن يرد هذه الرواية ، وينقضها ، وممن أعرض عن ذكرها ابن كثير ، والسيوطي ، والشوكاني ، وغيرهم ، ولم أرَ من تعقب هذه الرواية غير ابن عاشور ١٩/ ٩٧ ، حيث قال : «ومن بدع التفاسير وركيكها ما نسبه الثعلبي إلى ابن عباس ، أنه قال : نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، ويلحقهم هوان بعد عزة . وهذا من تحريف كلم القرآن عن مواضعه ، ونحاشي ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن يقوله ، وهو الذي دعا له رسول الله ﷺ بأن يعلمه التأويل ، والقرآن أَجَلُّ من أن يتعرض لهذه السفاسف» .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٢ .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) تكرار ؛ وهو : (في معنى المستقبل) ، تقول : إن أتيتني أكرمتك ، معناه : أكرمك .

(٣) في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٦ : (فعل يفعل) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٦ ، ولفظ البيت عنده :

إنْ يسمعُوا سُبَّةً طاروا بهَا فرحاً ... منِّي وما يسمعُوا منْ صالحٍ دفنُوا

وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٧ ، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٠٦ ، ولم ينسباه ، ونسبه في حاشية المحتسب إلى قعنب بن أم صاحب ، واسمه : ضمرة ، أحد بني عبدالله بن غطفان .

قال أبو علي في ما أصلح على أبي إسحاق : اعلم أن الجزاء يكون على ثلاثة أضرب : يكون بالفعل وبالفاء وبإذا ، فإذا كان بالفعل جاز أن يقع الماضي موضع المستقبل في الجزاء ، كما جاز أن يقع موقعه في الشرط ؛ لأن الحرف يقلب المعنى إلى الاستقبال كما تفعل ذلك لم ، في النفي ، ولا ، في قولك : واللهِ لا فعلت ، فتقول على هذا : إن أتيتني أتيتك ، تريد إن تأتني آتك ، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء ، كما أوقعته في الشرط ، وإن كان ذلك في الشرط أبين ؛ لأن الحرف يخلص عمله في الفعل [الذي يلحق بشرط[١] ، ولا يخلص عمله في الجزاء ، ألا ترى أن الجزاء لا يخلو من أن يكون معمولاً للحرف ، والفعل أو][٢] للفعل[٣] دون الحرف وليس في القسمة أن يكون معمولاً لأن ، فينجزم كما انجزم به الشرط[٤] ، ولم نعلم أحداً ذهب إلى ذلك إلا أن الجزاء قد جاز فيه من هذا ما جاز في الشرط من حيث صار كالجملة الواحدة ، فأمَّا ما بعد الفاء فمنقطع عن : إن ، وعن أن يكون لها عمل[٥] ، ألا ترى أن الفاء إنما تجتلب في جواب الشرط إذا كانت الجملة الموقعة في موضع الجزاء من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ أو الخبر لا يتعلق بأن لأنها من عوامل الأفعال ، وما أخلص لها من دون الأسماء ، فإذا كان كذلك لم تدخل عليها ولم تتعلق بها فاجتلبت الفاء وإذا ليُتوصل بها إلى كون الجملة التي من المبتدأ والخبر في موضع الجزاء كما يُتوصل بالذي إلى وصف المعارف بالجمل وبـ(ذو) ، التي بمعنى صاحب إلى[٦] [الوصف بالأجناس][٧] ومن ثم كانت هذه الآي[٨] محمولة عند

(١) في كتاب أبي علي : (الذي هو الشرط) . بدل : (الذي يلحق بشرط) .
(٢) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .
(٣) في نسخة (ب) : (والفعل) .
(٤) في كتاب أبي علي : «فينجزم بها كما انجزم بها الشرط» .
(٥) في كتاب أبي علي زيادة : (فيه) .
(٦) في كتاب أبي علي زيادة ، وهي : (وصف الجوهر ، وبأن الموصولة بالفعل إلى مختص بالمصدر الآتي أو بالماضي) .
(٧) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .
(٨) في كتاب أبي علي : الجملة . (بدل : الآي) .

سيبويه على إرادة المبتدأ ، وهو قوله : ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ [الجن :١٣] ، وقوله : ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ [البقرة :١٢٦] ، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة :٩٥] ، وكان موضع الفاء مع ما بعدها من الجملة جزماً بدلالة قوله : ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف :١٨٦] بالجزم[١] ، ولهذا أيضاً حُمل :

إنَّكَ إنْ يُصرعْ أخوكَ تُصرعُ[٢]

ونحوه على التقديم[٣] ، فإذا كان حكم الفاء في الجزاء ما ذكرنا وكانت إذا بمنزلتها في قوله : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم :٣٦] ، وقوله : ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة :٥٨] بان أن عمل إن منقطع عما بعد الفاء من هذه الأفعال لخروج الفعل الذي بعدها [أن يكون جزاء][٤] ووقوعه في موضع خبر المبتدأ يوضح ما ذكرنا أنك لو جئت بمثال المستقبل بعد الفاء لم يجزمه ، لا تقول : إن تأتني فأكرمك كما تقول : إن تأتني أكرمك ، وفي امتناع هذا دلالة على أن الفعل بعد الفاء منقطع عن عامل الجزم ، فإذا انقطع عنه لم يجز أن يقع الماضي موقع المستقبل على حد ما كان يقع قبل أن تقطع الفاء وتحجز عمل الجازم ، وإذا كان كذلك ثبت أنه على خلاف ما ذهب إليه أبو إسحاق ، وتبيَّنت الخلل في قول أبي إسحاق : معنى ﴿فَظَلَّتْ﴾ فتظل ؛ لأن الجزاء يقع فيه

---

(١) بالجزم قراءة حمزة والكسائي ، السبعة في القراءات ٢٩٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٢١٦ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٢٧٣ .

(٢) أنشده كاملاً سيبويه في الكتاب ٣/ ٦٧ ، ونسبه إلى جرير بن عبدالله البجلي ، وصدره :

يا أقرعُ بنَ حابس يا أقرعُ

ثم قال سيبويه : أي إنك تُصْرَعُ إن يُصْرَعْ أخوك . وفي الحاشية : كان جرير البجلي تنافر هو وخالد بن أرطاة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي ، وكان عالم العرب في زمانه فقال جرير هذا عند المنافرة . وأنشده المبرِّد في المقتضب ٢/ ٧٢ ، ولم ينسبه ، وفي الحاشية : استشهد به سيبويه على التقديم والتأخير ، والتقدير عنده : إنك تُصرع إن يصرع أخوك .

(٣) وقد استشهد به المبرِّد على ذلك ، وذكر غيره . المقتضب ٢/ ٧٢ .

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

لفظ الماضي موقع المستقبل[١] ، وأن الماضي لم يقع موقع المستقبل هنا من حيث ذكره ، ولكن كما يقع في غير هذا الماضي بمعنى الاستقبال[٢] .

وقال أبو علي[٣] في هذا الإصلاح ، حيث جعل الفاء من ﴿فَظَلَّتْ﴾ جواباً للشرط . والفاء في ﴿فَظَلَّتْ﴾ ليست جواباً للشرط ، بل هي للعطف على جواب الشرط ؛ لأن جواب الشرط قد تقدَّم في قوله : ﴿نُنَزِّلْ﴾ ثم عطف عليه بالماضي ، وعاد الكلام إلى ما قاله الزَّجَّاج والفرَّاء .

وقوله : ﴿أَعْنَاقُهُمْ﴾ كثير من المفسرين يجعلون الأعناق هاهنا جمع العنق التي هي العضو[٤] . وعلى هذا قال : ﴿خَاضِعِينَ﴾ ، ولم يقل : خاضعة ، كما قال : ﴿فَظَلَّتْ﴾ لأجل رؤوس الآي ، وجاز ذلك ؛ لأن المؤنث إذا أضيف إلى المذكر وكان بعضاً منه جاز تذكيره ؛ وذلك أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ، فتُرك الخبر عن الأعناق وأُخبر عن أربابها . وهذا قول الأخفش ، والفرَّاء ، والزَّجَّاج ، والمبرِّد ، وجميع النحويين ، قالوا : يجوز أن يُترك المضاف ويُخبر عن المضاف إليه ، فيكون كالخبر عن المضاف[٥] ،

---

(١) يوجد هنا تكرار في نسخة (أ) ، قدره سطر ونصف .

(٢) الجزء الثاني من كتاب الإغفال ٢١٨ب ، ٢١٩أ ب ، مع شيء يسير من الاختلاف .

(٣) لعل الصواب : وقول أبي علي ؛ لأن هذا نقد لكلام أبي علي .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/ ٥٩ ، وقد أخرجه عن مجاهد ، وقتادة .

(٥) المقتضب ٤/ ١٩٩ ، وفيه : «وأمَّا ما عليه جماعة أهل النحو ، وأكثر أهل التفسير ، في ما أعلم ، فإنه أضاف الأعناق إليهم ، يريد : الرقاب ، ثم جعل الخبر عنهم ؛ لأن خضوعهم بخضوع الأعناق» ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٢ ، قال السمرقندي ٢/ ٤٧٠ : «لأن الكلام انصرف إلى المعنى فكأنه قال : هم لها خاضعون . وليس فيها : لأجل رؤوس الآي» ، وقد ذكره الثعلبي ٨/ ١٠٧ب . قال البغوي ٦/ ١٠٦ : وقيل : إنما قال : «﴿خَاضِعِينَ﴾ على وفاق رؤوس الآي ، ليكون على نسق واحد» . ولم ينسبه . =

وأنشدوا :

مشينَ كَما اهتزَّتْ رماحٌ تسفَّهَتْ أعاليهَا مرُّ الرِّياحِ النَّواسِـم[١]

كأنه قال : تسفيها الرياح[٢] ، وترك من الرياح النواسم .

وقول آخر :

لَمَّا رأى مَتْنَ السماءِ انْقَدَّتِ[٣]

وقول الأعشى :

كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدَّمِ[٤]

= وذكر هذا القول ابن عطية ١١/ ٩٠ ، فقال : الإضافة إلى من يعقل أفادت حكمه لمن لا يعقل ، كما تفيد الإضافة إلى المؤنث تأنيث علامة المذكر» .

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ٢٦٦ ، بلفظ : رويداً بدل : (مشين) ، وأنشده سيبويه في الكتاب ١/ ٥٢ ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وفي الحاشية : جعل النساء في اهتزازهن حين يمشين بمنزلة الرماح تستخفها الريح فتزعزعها ، وأنشده المبرِّد في المقتضب ٤/ ١٩٧ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ٨٣ ، ولم ينسباه . ولم أجد هذا البيت عند الفرَّاء ، ولا الأخفش ، ولم أجده عند ابن جرير ، ولا الثعلبي .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٣ ، وفيه : (تسفهتها الرياح) .

(٣) أنشده الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٤٤ ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : لم تفد المراجع شيئاً في القول والقائل . ولم أجده عند الفرَّاء . ونسبه ابن جرير ١٩/ ٦٠ ، إلى العجاج ، وفيه : أبعدت ، بدل : (انقدت) . وفي الحاشية : لم أجد البيت في ديوان العجاج ، والمتن الظهر . والشاهد في هذا الرجز أنه أنث الفعل : أبعدت ، بالتاء ، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن ، وهو مذكر ، لكن لمَّا أضيف المتن إلى السماء وهي مؤنثة ، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء وتناسى المتن ، فأنث لذلك . وأنشده الثعلبي ٨/ ١٠٧ب ، منسوباً إلى العجاج . والبيت في ديوان العجاج ٢١٩ بلفظ :

إذا رأى متنَ السَّماءِ انقدَتْ وحيَ الإلهِ والبلادَ رُجَّتِ

(٤) أنشده كاملاً ونسبه إلى الأعشى : سيبويه في الكتاب ١/ ٥٢ ، وأنشده المبرِّد في المقتضب ٤/ ١٩٧ ، ولم ينسبه ، وكذا الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٤٤ ، وصدره :

وتشرقُ بالقولِ الَّذي قدْ أذعتَهُ

ولم أجده عند الفرَّاء . وأنشده ابن جرير ١٩/ ٦٠ ، والثعلبي ٨/ ١٠٧ب ، ونسباه إلى الأعشى ، وهو =

وقال جرير :

رأَتْ مَرَّ السنينَ أخذْنَ مِنِّي[١]

وأنشد أبو عبيدة :

إذا بعضُ السنينَ تعرَّقتْنَا كَفَى الأيتامَ فقدُ أبي اليتيمِ[٢]

تركوا المضاف وأخبروا عن المضاف إليه .

قال الفرَّاء : جعل الفعل أولاً للأعناق ، ثم جعل خاضعين للرجال[٣] .

وقال الأخفش : تجعل الخضوع مردوداً على المضمرة التي أضاف الأعناق إليها[٤] .

= في ديوانه ١٨٣ من قصيدة له في هجاء عمير بن عبدالله بن المنذر . وفي حاشية ابن جرير : صدر القناة : أعلاها . والشاهد من البيت أنه أنث الفعل : شرق ، بالتاء ، مع أن فاعله وهو : صدر ، مذكر ولكنه لَمَّا أضيف إلى القناة وهي مؤنثة فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها .

(١) ديوان جرير ٣٤١ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ، والبيت بتمامه :

رأتْ مرَّ السنينَ أخذنَ منِّي كما أخذَ السرارُ منَ الهلالِ

والسرار : آخر الشهر .

وذكر صدره المبرِّد في المقتضب ٤/ ٢٠٠ ، ولم ينسبه ، وذكره كاملاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٣ ، وابن جرير ١٩/ ٦٢ ، والثعلبي ٨/ ١٠٧ب ، والطوسي ٨/ ٦ ، ونسبوه إلى جرير ، وأنشده الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ٨٢ ، ولم ينسبه . قال أبو عبيدة : «رجع إلى السنين ، وترك : مرَّ» .

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب ١/ ٥٢ ، ونسبه إلى جرير ، وهو في ديوانه ٤١٢ من قصيدة له في مدح هشام بن عبدالملك . وفي حاشية الكتاب : السنة : الجدب ، وتعرقتنا : ذهبت بأموالنا كما يتعرق الآكل العظم فيذهب ما عليه من اللحم . وأنشده المبرِّد في المقتضب ٤/ ١٩٨ ، ولم ينسبه ، وفي حاشيته استشهد به سيبويه على اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه ، ولم أجده في مجاز القرآن ، ولا في تفسير الثعلبي .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٧ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٤ بمعناه .

وقال الزَّجَّاج : لَمَّا لم يكن الخضوع إلا بخضوع الأعناق جاز أن يخبر عن المضاف إليه[١] .

وذهب مجاهد في تفسير الأعناق إلى أنها الرؤساء والكبراء[٢] ، فصار معنى الآية : فظلت رؤساء القوم لها خاضعين[٣] .

ومن الناس من يفسر الأعناق بالجماعات ، وهو قول[٤] كثير من المفسرين ، يقال : جاء القوم عُنُقاً عُنُقاً إذا جاءوا فِرَقاً ، كل جماعة منهم عنق[٥] ، ومنه قول الشاعر :

أنَّ العراقَ وأهلَهُ عنقٌ إليكَ فهيتَ هيتَا[٦]

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٢ ، قال ابن جرير ١٩/ ٦٢ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك : أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء ، وأن يكون قوله : ﴿خَٰضِعِينَ﴾ مذكراً ؛ لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق» .

(٢) ذكره عنه الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٧٧ ، والثعلبي في تفسيره ٨/ ١٠٨أ ، ولم أجده في تفسير مجاهد ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٥٩ ، ولم ينسبه ، وأخرج بسنده عن مجاهد : «فظلوا خاضعة أعناقهم لها من الذلة» .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٧ ، واختار هذا القول هود الهوّاري في تفسيره ٣/ ٢٢١ .

(٤) (قول) في نسخة (ج) .

(٥) تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٢ ، وذكره الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٧٧ ، والأخفش ٢/ ٦٤٥ ، والثعلبي ٨/ ١٠٨أ ، وصدَّره بقوله : «وقيل : أراد بالأعناق الجماعات والطوائف من الناس» . أخرج الطستي عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله تعالى : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ ، قال : العنق الجماعة من الناس الدر المنثور ٦/ ٢٨٩ ، وغريب القرآن في شعر العرب ٢١١ .

(٦) قال أبو عبيدة : أنشدني أبو عمرو بن العلاء :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ أخا العراقِ إذا أتيتَا أنَّ العراقَ وأهلَهُ عنقٌ إليكَ فهيتَ هيتَا

يريد : علي بن أبي طالب رضي الله عنه . مجاز القرآن ١/ ٣٠٥ ، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٢ ، ولم ينسبه ، وكذا في اللسان ١٠/ ٢٧٣ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٠٨أ ، وابن عطية ١١/ ٨٩ ، وأبو حيان ٧/ ٦ ، ولم ينسبوه .

أراد أنهم مالوا إليك جميعاً .

ويقال : هم عُنق واحد عليه ؛ أي جماعة[١] .

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي : العُنق : الجمع الكثير من الناس[٢] .

قال المبرِّد : وهذا قول أبي زيد في هذه الآية قال : أعناقهم : جماعاتهم[٣] .

وقال النضر : العنق : جماعة من الناس[٤] .

وقال الأخطل :

وإذا المِئونَ تُـؤوكِـلتْ أعـناقُها فاحمـــلْ هُناكَ على فتـــىً حمَّالِ[٥]

قال ابن الأعرابي : أعناقها : جماعتها[٦] .

وقـــال غـــيره : ســـاداتها[٧] . والقولان في تفســـير الأعناق أنهـــا الجماعات والرؤساء ، حكاهما الفرَّاء والزَّجَّاج وذكراهما[٨] .

---

(١) تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٢ .

(٢) تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٣ بنصه .

(٣) المقتضب ٤/ ١٩٩ ، ونسبه إلى أبي زيد الأنصاري .

(٤) تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٤ .

(٥) يمـــدح الأخطل في هذا البيـــت عكرمة الفياض ، كاتب بشر بن مروان الـــذي كان قد أدى عنه حمالة حملهـــا ليحقن دماء بني قومه ، يقول : إذا ما قتل مئات القتـــلى ، ولم تؤد دياتهم فعليك بعكرمة ، انقل إليه حاجتك يتكفل بها . شرح ديوان الأخطل ٢٥٠ ، وأنشده الأزهري (عنق) ١/ ٢٥٤ ، منسوباً إلى الأخطل ، وكذا في اللسان ١٠/ ٢٧٣ .

(٦) تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٤ .

(٧) تهذيب اللغة (عنق) ١/ ٢٥٤ ، ولم يسمِّه .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٣ .

٥. قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ ؛ أي وعظ وتذكير من الله ، يعني : القرآن[١] ﴿مُّحْدَثٍ﴾ في الوحي والتنزيل[٢] .

قال الكلبي : كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول[٣] .

وذكرنا هذا في أوائل سورة الأنبياء[٤] .

٦. وقوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ . قال صاحب النظم : قوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بعد قوله : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ جعل إعراضهم تكذيباً ؛ لأن من أعرض عن شيء ترك قبوله ، [وإذا ترك قبوله][٥] فقد دل على تكذيبه به ، وهذا من باب الإيماء .

وقوله : ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وعيد لهم[٦] . قال ابن عباس : سوف يأتيهم عاقبة ما كذَّبوا واستهزؤوا به[٧] .

قال الكلبي : فوقع بهم العذاب يوم بدر[٨] ، يعني أن هذا الوعيد الذي أوعدوا به في هذه الآية لحقهم يوم بدر .

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨أ بنصه . أخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٠ عن قتادة : ما يأتيهم من شيء من كتاب الله .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨أ .

(٣) الوسيط ٣/ ٣٥١ ، منسوباً إلى الكلبي ، وكذلك البغوي ٦/ ١٠٦ ، وهو في تنوير المقباس : ٣٠٦ ، بمعناه .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

(٥) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨أ .

(٧) ذكره القرطبي ١٣/ ٩٠ ، ولم ينسبه .

(٨) تنوير المقباس ٣٠٦ ، بلفظ : من العذاب . من دون تحديد .

قال أبو إسحاق : المعنى : فسيعلمون نبأ ذلك في القيامة ، قال : وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يوم بدر[١] ، وقال صاحب النظم : جعل تكذيبهم استهزاءً ، فدل ذلك على أن كل من كذَّب بحق فكأنه[٢] قد استهزأ به ، ومن أعرض عنه ولم يقبله فقد كذَّبه . قال : وأنباؤه ظهوره على الأديان كلها ، وإيمان الناس به كافة ، قال : ويقال : أمر له نبأ ؛ أي عاقبته محمودة . هذا كلامه .

وتحقيق المعنى : فسيأتيهم أخبار ما كذَّبوا واستهزؤوا به من اجتماع الناس عليه بالإيمان ، على ما ذكره صاحب النظم . وعلى ما ذَكر المفسرون : أخبار عاقبة تكذيبهم بما كذَّبوا به واستهزائهم ؛ وهي : العذاب والنِّقمة[٣] .

ثم ذكر ما يدلهم على قدرته ، فقال :

٧. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني هؤلاء المكذبين[٤] ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها .

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : من كل صنف من أصناف الفواكه وغير ذلك حسن طيب[٥] .

وقال الكلبي : من كل ضرب حسن في المنظر[٦] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٣ .

(٢) في نسخة (ب) : (فقد استهزأ به) .

(٣) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٢ بمعناه .

(٤) في تنوير المقباس ٣٠٦ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ كفار مكة .

(٥) تفسير مقاتل ٤٨أ بمعناه . وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٧٣ عن قتادة : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ قال : حسن . وقال به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٩٥ ، وغريب القرآن ٣١٦ .

(٦) في تنوير المقباس ٣٠٦ : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل لون ﴿كَرِيمٍ﴾ حسن في المنظر .

وقال مجاهد : من نبـــات الأرض مما يأكل الناس والأنعام[١] ، وهذا كقوله : ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج :٥ ، ق :٧] . قال الفرَّاء : هو كما يقال للنخلة : كريمة إذا طاب حملها ، أو كثر ، وكما يقال للشاة والناقة : كريمة إذا غَزُرَتا[٢] .

وقال الزَّجَّاج : معنى ﴿زَوْجٍ﴾ نـــوع ، ومعنى[٣] ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود في ما يحتاج إليه ، والمعنى : من كل زوج نافع لا يقدر على إنباته وإنشائه إلا رب العالمين[٤] .

٨. وقولـــه : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ : يعني ما ذُكر من الإنبات في الأرض ﴿لَآيَةً﴾ لدلالة تدل على أن الله تعالى قادر لا يعجزه شيء . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿لَآيَةً﴾ قـــال : علامة ، كالعلامة تكون بين الرجـــل وأهله ، يقول : هذا خاتمي[٥] ، يعني كما يُســـتدل بالخاتم على ما أُعلم بـــه عليه ، كذلـــك بالإنبات من الأرض يُســـتدل على النشر والإحياء .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [قال الفرَّاء : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾][٦] في علم الله . يقول : قد سبق في علمي أن أكثرهم لا يؤمنون[٧] ، وقال أبو إسحاق :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٠ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٥٩ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٨ ، وفيه : «إذا طاب حملها أو أكثر» .

(٣) (ومعنى) في نسخة (أ) و(ب) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٣ ، قال الماوردي ٤/ ١٦٥ : ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ ؛ أي نوع معه قرينه من أبيض وأحمر ، وحلو وحامض .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥١ .

(٦) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٨ ، وفيه : يقول : «لهم في القرآن وتنزيله آية ، ولكن أكثرهم في علم الله لن يؤمنوا» .

أي قد علم الله -عز وجل- أن أكثرهم لا يؤمن أبداً ، وهذا إعلام من الله تعالى أن أكثرهم لا يؤمن[١] .

٩. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ . قال ابن عباس : المنتقم[٢] من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه[٣] .

وقال ابن جريج : عزيز بالانتقام من أعدائه ، رحيم بإنجاء المؤمنين بما يُهلك به أعداءه[٤] .

وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى ينتقم من أعداء النبي ﷺ بإهلاكهم وتعذيبهم وينجي المؤمنين[٥] .

١٠. قوله : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾ . قال الزَّجَّاج : موضع ﴿إِذْ﴾ نصب على معنى : واتل هذه القصة في ما تتلو ؛ ودليل ذلك قوله عطفاً على هذه القصة : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء :٦٩][٦] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٤ ، وذهب مقاتل إلى أن الضمير يرجع إلى كفار مكة ، فقال ٤٨أ : يعني أكثر أهل مكة ، وذهب الهواري في تفسيره ٣/ ٢٢٢ إلى العموم ، فقال : يعني من مضى من الأمم .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (المسمى) .

(٣) الوسيط ٣/ ٣٥١ غير منسوب . وفي تنوير المقباس ٣٠٦ : ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنقمة منهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٣ ، وأوله : كل شيء في الشعراء ، من قوله : عزيز رحيم ، فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم .

(٥) جعل مقاتل الرحمة راجعة إلى الكفار ، فقال ٤٨أ : ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ حين لا يعجل عليهم بالعقوبة .

(٦) معاني القرآن ٤/ ٨٤ ، قال مقاتل ٤٨أ : يقول : وإذ أمر ربك يا محمد موسى .

ومعنى النداء : الدعاء بـ : يا فلان ، فنادى الله موسى حين رأى الشجرة والنار[١] ، بأن قال له : يا ﴿مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] . قال ابن عباس : يريد : المشركين[٣] .

قال أهل المعاني : يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ، وظلموا بني إسرائيل بسومهم سوء العذاب[٤] .

قال ابن عباس : ثم أخبر عنهم فقال :

١١ . ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[٥] ، قال الفرَّاء : لو قُرِئ : ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ بالتاء[٦] كان صواباً ؛ لأن موسى أُمر بأن يقول لهم : ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ فكانت التاء تجوز لخطاب موسى إيَّاهم ، وجازت الياء ؛ لأن التنزيل قبل الخطاب ، وهو بمنزلة قول الله تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ﴾ [آل عمران :١٢] بالتاء والياء[٧] .

---

(١) ذكره البغوي ٦/ ١٠٧ ، ولم ينسبه . أخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥١ عن السدِّي : ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ قال : حين نودي من جانب الطور الأيمن .

(٢) الذي يظهر من صنيع الواحدي أنه يثبت النداء في الآية على ظاهره ، وهذا يدل على إثبات صفة الكلام لله عز وجل .

(٣) تفسير مقاتل ٤٨أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥١ بلفظ : (الكافرين) .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨أ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥١ ، ولم ينسبه إلى أحد ، وذكره البغوي ٦/ ١٠٧ غير منسوب .

(٥) ذكره بنصه في الوسيط ٣/ ٣٥١ ، ولم ينسبه . وفي تنوير المقباس ٣٠٦ : ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ بدل من القوم .

(٦) نسب هذه القراءة ابن جني إلى عبدالله بن مسلم بن يسار ، وحماد بن سلمة . المحتسب في شواذ القراءات ٢/ ١٢٧ ، ونسبها الثعلبي إلى عبيد بن عمير . تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨أ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٨ بنصه . قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (ستُغلبون) بالتاء ، وقرأ حمزة والكسائي : (سيُغلبون) . انظر : السبعة في القراءات ٢٠٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ١٤٠ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٢٣٨ .

وقال أبو حاتم : قوله : ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وقف[١] ؛ لأن المعنى تام ، وما بعده استئناف[٢] .

ومعنى : ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ ألا يَصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته[٣] .

١٢ . قوله : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ . قال الكلبي : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ بالرسالة[٤] .

١٣ . قوله : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ ؛ أي بتكذيبهم إياي[٥] ، ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ ؛ أي لا ينبعث بالكلام ، يعني : للعلة التي كانت بلسانه[٦] .

---

(١) (وقف) في نسخة (ج) .

(٢) وقف تام عند أبي حاتم . القطع والائتناف للنحاس ٢/ ٤٩٠ ، وعَدَّه الداني من الوقف الكافي . المكتفى ٤٢١ ، يعرف بالوقف التام والكافي عند أول موضع ذكر فيه الوقف .

(٣) قال مقاتل ٤٨أ : ألا يعبدون الله عز وجل .

(٤) ذكره في الوسيط ٣/ ٣٥١ ، ولم ينسبه ، وهو في تنوير المقباس ٣٠٧ .

(٥) تنوير المقباس ٣٠٧ ، ونسبه الماوردي ٤/ ١٦٦ ، إلى الكلبي ، وذكر قولاً آخر ، هو : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ بالضعف عن إبلاغ الرسالة .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨أ ، وهذه العلة مذكورة في قوله تعالى : ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه :٢٧ ، ٢٨] . وأمَّا ما ورد من أن السبب في ذلك هو وضع نبي الله موسى ـعليه السلامـ الجمرة في فمه بدلاً من التمرة ، فإن هذا الخبر لا يعتد به ؛ لأنه من الأخبار الإسرائيلية ، وقد ذكره ابن جرير في تاريخه ١/ ٣٩٠ ، وجزم به ابن عطية ١١/ ٩٤ ، وهو مخالف للواقع ؛ إذ كيف يقدر على حمل الجمرة بيده ويرفعها إلى فيه ، ومع ذلك لا تحرق يده ولا تؤذيه ، ويكفي لإثبات أن نبي الله موسى عليه السلام لا يعقل أخذه للجمرة من دون الحاجة إلى رفعها إلى فيه ، والله أعلم . وذكر السمرقندي ٢/ ٤٧٠ أن العلة في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ لهابته ، وهو قول غريب ، ونسبه الماوردي ٤/ ١٦٦ ، إلى الكلبي .

[قال الفرَّاء : ﴿وَيَضِيقُ﴾ مرفوعة ؛ لأنها مردودة على ﴿أَخَافُ﴾ ، ولو نُصبت بالرد على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ كانت صواباً ، والوجه الرفع ؛ لأنه أخبر أن صدره يضيق ، وذَكر العلة التي كانت بلسانه][(١)] فتلك مما لا تَخاف ؛ لأنها قد كانت[(٢)] .

قوله : ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ اجعله رسولاً لكَ معي بأن يُرسل إليه جبريلَ بالوحي[(٣)] .

قال الكلبي : لكي يكون معي معيناً لي[(٤)] .

قال الفرَّاء : ولم يذكر معونة ولا مؤازرة ؛ لأن المعنى معلوم ، كما تقول : لو أتاني مكروه لأرسلت إليك . ومعناه : لتعينني وتغيثني ، وإذا كان المعنى[(٥)] معلوماً طرح للإيجاز[(٦)] .

١٤. قوله : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ . قال مجاهد وقتادة والمفسرون وابن عباس : يريد قتلت منهم قتيلاً[(٧)] ، يعني الرجل الذي وكزه فقضى عليه[(٨)] ،

---

(١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٨ بنصه ، ونحوه في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٤ ، وذكر نحوه النحاس عن الكسائي إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٣) قال مقاتل ٤٨أ : يقول : فأرسل معي هارون ، كقوله في النساء : ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ .

(٤) تنوير المقباس ٣٠٧ .

(٥) (المعنى) في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٨ ، ونحوه في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٤ .

(٧) تنوير المقباس ٣٠٧ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٥٩ ، وأخرجه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٧٣ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٤ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٢ عن مجاهد ، وقتادة . وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٧١ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٥ .

والتقديـــر : ولهم عليَّ دعـــوى ذنب فأخاف أن يقتلـــوني به ؛ أي بقتلي إياه[١] .

١٥ . قال الله سبحانه : ﴿كَلَّا﴾ ؛ أي لن يقتلوك ، وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن[٢] ، كأنه قال : ارتدع عن هذا الظن وثق بالله[٣] .

قـــال ابن عبـــاس : [يريد لا يقدرون عـــلى قتلك ، وقـــال الكلبي : يعني لا أسلطهم على ذلك[٤] .

قوله : ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ . قال ابن عباس :][٥] يريد نفسه[٦] ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ . قال : يريد أسمع[٧] وأرى ، كما قال في : [طه :٤٦] ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ .

وقال أهل المعاني : قوله : ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ مجاز من وجهين ؛ أحدهما : الجمع ، والآخر : مستمع ؛ موضع : سامع ؛ لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء ، والله

---

(١) تفســير ابن جرير ١٩/ ٦٤ ، وجعل مقاتل ٨٤أ ، (عَلَيَّ) بمعنى عندي ، فقال : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ ؛ أي عندي ذنب . وذهب إليه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٥٧٨ ، وغريب القرآن ٣١٦ ، وظاهر الآية أن الذنب قد صدر من نبي الله موسى عليه السلام ، ويدل عليه قوله تعالى في سورة [القصص :١٥ ، ١٦] في ســياق قصة قتل القبطي : ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ، وعليه فقول الرازي ٢٤/ ١٢٣ : «القائل أن يقول : قول موســى عليه الســلام : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ هل يدل عــلى صدور الذنب منه ؟ جوابه : لا ، والمراد : لهم عليَّ دعوى ذنب في زعمهم» هذا القول مخالفة لظاهر الآية ، ولا دليل عليه .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٦/ ١١٨ بنصه ، ولم ينسبه . ونحوه القرطبي ١٣/ ٩٢ ، ولم ينسبه .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٥ .

(٤) تنوير المقباس :٣٠٧ ، وذكره ابن الجوزي ٦/ ١١٨ ، ولم ينسبه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٦) بنصه في الوسيط ٣/ ٣٥١ منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

(٧) تنوير المقباس ٣٠٧ .

-عز وجل- سامع مما يغني عن الاستماع ، والمعنى يسمع ما يقولانه وما يجيبونكما به[١] ، وأراد بهذا تقوية قلبهما[٢] .

وقوله : ﴿مَعَكُم﴾ وفي سورة طه ﴿مَعَكُمَآ﴾ ؛ لأنه أجراهما في هذه السورة مجرى الجماعة[٣] ، ومضت لهذا نظائر .

١٦. قوله : ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ : مذهب أبي عبيدة ، والأخفش ، والمبِّرد ، وجميع النحويين أن الرسول هاهنا بمعنى الرسالة[٤] ، وأنشدوا قول كُثَيِّر :

لقدْ كَذَبَ الواشونَ ما بُحتُ عندَهُم

بسرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ[٥]

قالوا : يعني برسالة[٦] .

---

(١) (به) في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب بمعناه . وذكر هذا الرازي ٢٤/ ١٢٤ .

(٣) ذكره البغوي ٦/ ١٠٨ ، ولم ينسبه . وقد تكلم على مخاطبة المثنى بلفظ الجمع سيبويه في الكتاب ٣/ ٦٢١ ، واستدل بهذه الآية .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٤ ، قال في مجازه : إنا رسالة رب العالمين . وتفسير ابن جرير ١٩/ ٦٤ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٥ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٤ منسوباً إلى كُثيِّر عزَّة ، وعنه ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٦ ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٦٥ ، والزَّجَّاج ٤/ ٨٥ ، والطوسي ٨/ ١١ ، ولم ينسبوه ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٠٨ب منسوباً إلى كُثيِّر ، ولفظه عند الزَّجَّاج : (ما فهت عندهم بسوء) .
وعنه ذكره الأزهري (رسل) ١٢/ ٣٩١ ، وهو في اللسان ١١/ ٢٨٣ ، والبيت في ديوان كثير ١٧٨ ، بلفظ :
لقدْ كذبَ الواشونَ ما بُحتُ عندَهُمْ بليلى ولا أرسلتهم . . .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب .

وقول عباس بن مرداس :

ألا مَـنْ مُـبـلغٌ عـني خُـفـافـاً رَســـولاً بيتُ أهلِكَ منتَهاهَا[١]

أراد رسالة ، ولذلك أنث[٢] .

وعلى هذا تقدير الآية : إنا ذو رسالة رب العالمين فحذف المضاف .

وفيه قول آخر ، وهو : أن الرسول هاهنا في معنى جمع[٣] ، كقول الهذلي[٤] :

أَلِـكْـنـي إلـيهـا وخـيرُ الـرسو لِ أعلمُهُـــمْ بنواحـــي الخبرِ[٥]

---

(١) أنشـــده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٤ ، والثعلبي ٨/ ١٠٨ب ، ونسباه إلى عباس بن مرداس ، وهو كذلك في لســـان العرب (رســـل) ١١/ ٢٨٣ ، قال أبو عبيدة : ألا ترى أنه أنثها . وأنشـــده ابن جرير ١٩/ ٦٥ ، والطوسي ٨/ ١١ ، ولم ينسباه . مع اختلاف بينهم في صدر البيت . الخُفوف : سرعة السير من المنزل . تهذيب اللغة (خفف) ٧/ ٩ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٥ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب .

(٣) تفســـير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب . وذهب إلى هذا ابن قتيبة ، في تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ ، وقال : العرب تقـــول : فلان كثير الدرهم والدينار ، يريدون : الدراهـــم والدنانير ، وفي غريب القرآن ٣١٦ ، قال : الرســـول بمعنى الجميع كما يكون الضيف ، قال : ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحجر :٦٨] ، وكذلك الطفل ، قال : ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الحج :٥] .

(٤) راجع ترجمته في الشعر والشعراء ٢/ ٦٥٣ ، والأغاني ٦/ ٥٦ ، والخزانة ١/ ٢٧٤ .

(٥) أنشـــده الفرَّاء ٢/ ١٨٠ ، ولم ينسبه ، وعنه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٣٥ ، من دون نسبة ، وأنشده كذلك ابن جني في الخصائص ٣/ ٢٧٤ ، وذكره الطوسي ٨/ ١١ ، ونسبه للهذلي ، وهو في اللسان (رســـل) ١١/ ٢٨٣ ، منسوباً إلى أبي ذؤيب ، وذكره الزمخشري ٣/ ٢٩٥ ، ولم ينسبه . ونسبه ابن عطية : ١١/ ٩٦ ، إلى الهذلي . انظر : ديوان الهذليين ١/ ١٤٦ . وقال شارح أشعار الهذليين ١/ ١١٣ : ألكني : أبلغ عني ألوكي ، والألوك : الرسالة وذكره القرطبي ١٣/ ٩٣ منسوباً إلى الهذلي . قال ابن عاشـــور ١٩/ ١٠٩ بعد ذكـــره البيت : فهل من ريبة في أن ضمير الرســـول في البيت مراد به المرسلون .

ومثلها العـــدو والصديق[١] . قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ﴾ [الشـعراء :٧٧] ، وقال : ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء :٦٩] ، وقد مرَّ[٢] .

وذكر أبو علي القولين جميعاً بعبارة وجيزة ، فقال : الرســول يســتعمل على ضربين ؛ أحدهما : [بمعنى المرســل ، والآخر بمعنى : الرســالة ، فقوله : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ بمعنى : الرســالة ،][٣] وهو من بــاب حذف المضاف ؛ لأن المعنى : إنَّا ذو رســالة رب العالمين ، قال : ويجوز أن يكون الواحد وضع موضع التثنية ، كما وضع موضع الجمع في قولــه : ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف :٥٠] ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ [النساء :٩٢] ونحو ذلك[٤] .

١٧. قوله تعــالى : ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ : معناه : بأن ، فحذف الجار ، ومعنى الإرسال هاهنا : الإطلاق والتخلية ، كما تقول : أرسلت الصيد مــن يدي ؛ أي أطلقته بعد التخلية ، وإنما أمر بأن يُخلي عنهم برفع منعه لهم . قال مقاتل : أرسلهم معنا إلى أرض فلسطين ، ولا تستعبدهم[٥] .

١٨. قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ : في الكلام محذوف تقديره : فأتياه وأبلغا الرسالة ، فقال : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[٦] [قال مقاتل : عرف

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٥ .

(٢) قال الواحدي في تفسـير هذه الآية : قال الفـرَّاء : وإنما وحَّد الرفيق وهو حقــه الجمع ؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع ، ولا يجوز أن تقول : حسن أولئك رجلاً .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٥١ ، قال الهوَّاري ٣/ ٢٢٣ : وهي كلمة من كلام العرب ، يقول الرجل للرجل : من كان رسولك إلى فلان ؟ فيقول : فلان ، وفلان ، وفلان .

(٥) تفسير مقاتل ٤٨ب .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٦ .

فرعون موسى ؛ لأنه رباه في بيته ، فلمَّا أتاه قال له :﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[(١)] يعني : صبيّاً[(٢)] ، وقال ابن عباس : صغيراً[(٣)] .

والوليد : هو المولود ، وموسى وُلِد فيهم ثم كان في ما بينهم حتى صار رجلاً ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ثماني عشرة سنة[(٤)] ، وقال مقاتل : ثلاثين سنة[(٥)] ، وقال الكلبي : أربعين سنة[(٦)] .

١٩. وقوله : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : يعني قتل القبطي الذي قتله موسى[(٧)] .

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيه قولان ؛ أحدهما : وأنت من الكافرين بإلهك ، وكنت معنا على ديننا هذا الذي تعيب ، وهذا قول الحسن والسدِّي[(٨)] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٤٨ب بنصه . قال الزمخشري ٣/ ٢٩٦ : الوليد : الصبي لقرب عهده من الولادة .

(٣) تنوير المقباس :٣٠٧ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٦٦ ، ولم ينسبه .

(٤) الوسيط ٣/ ٣٥١ منسوباً له .

(٥) تفسير مقاتل ٤٨ب ، ٥١أ ، واقتصر عليه السمرقندي ٢/ ٤٧١ ، والثعلبي ٨/ ١٠٨ب ، ولم ينسباه . واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٧٨٨ ، ولم ينسبه ، وكذلك البغوي في تفسيره ٦/ ١٠٩ .

(٦) في تنوير المقباس :٣٠٧ : ثلاثين سنة . قال الهوَّاري ٣/ ٢٢٣ : «﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ؛ أي لم تدع هذه النبوة التي تدعيها اليوم» .

(٧) تنوير المقباس :٣٠٧ ، وتفسير مقاتل ٤٨ب . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٦ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٤ عن مجاهد وقتادة . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ب . وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٢ غير منسوب .

(٨) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٦ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٤ عن السدِّي ، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٠٨ب ، والماوردي ٤/ ١٦٧ ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٢ منسوباً إلى الحسن والسدِّي ، وذكره البغوي ٦/ ١٠٩ ، وابن الجوزي ٦/ ١١٩ .

والثاني : وأنت من الكافرين للنعم التي ذكرها ، يعني : من التربية والإحسان إليه ، يقول : ربيناك وأحسنَّا إليك وأقمت فينا سنين ثم كافأتنا بأن قتلت منَّا نفساً ، وكفرت بنعمتنا .

وهـذا قول ابن زيد ومقاتـل وعطاء[١] والعوفي عن ابـن عباس ، قال : إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية[٢] . واختاره الفرَّاء ، فقال[٣] : وأنت الآن من الكافرين لنعمتي ؛ أي لتربيتي إيَّاك[٤] .

قال أهل المعاني : هذا الجواب من فرعون لموسـى استصغار لحال الداعي إلى الله بطراً وتكبراً ، وتوجيه أمره إلى غير جهته .

٢٠. ﴿قَالَ﴾ موسـى : ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ؛ أي فعلت تلك الفعلة وأنا إذ ذاك من الضالين ؛ أي من الجاهلين ، قاله مجاهد ومقاتل وقتادة والسدِّي[٥] .

---

(١) تفسـير مقاتل ٤٨ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٧ ، وأخرجه ابن جريـر ١٩/ ٦٦ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٤ عن سـعيد بن جبير ، ومحمد بن إسحاق ، وزيد بن أسلم . واقتصر على هذا القول ابن كثير ٦/ ١٣٧ .

(٢) تفسـير الثعلبي ٨/ ١٠٩أ عن العوفي ، عن ابن عباس . وأخرجه ابـن جرير ١٩/ ٦٦ بلفظ : يقول : «كافراً للنعمة ، إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر» .

(٣) (فقال) في نسخة (أ) و(ب) .

(٤) معاني القرآن للفـرَّاء ٢/ ٢٧٨ ، وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٢٤ ، واقتصر عليه ابـن قتيبة في غريب القرآن ٣١٦ وهو اختيار ابن جرير ١٩/ ٦٦ ، واستظهره الشنقيطي ٦/ ٣٧٠ ، وذكر السمرقندي ٢/ ٤٧٢ ، وجهاً آخر ، فقال : ويقال : وأنت من الجاحدين للقتل ، يعني : لم تقر بالقتل .

(٥) تنوير المقباس :٣٠٧ ، وتفسـير مجاهد ٢/ ٤٥٩ ، وتفسـير مقاتل ٤٨ب . وأخرجـه عبدالرزاق في تفسـيره ٢/ ٧٣ عن قتادة ، وأخرجه ابن جريـر ١٩/ ٦٧ عن مجاهد وقتـادة والضحاك ، وأخرجه ابـن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٥ ، عن مجاهـد وقتادة ، ثم قال : وروي عن ابن عباس ، وسـعيد بن جبير ، والثوري مثل ذلك .

قال الفرَّاء : وكذا هو في حرف ابن مسعود : وأنا من الجاهلين[١] ، قال : والضالين والجاهلين يكونان بمعنى واحد ؛ لأنك تقول : جهلت الطريق وضللته[٢] ، وهذا يحتمل تأولين ؛ أحدهما : كنت جاهلاً لم يأتني عن الله شيء ، وهذا قول أكثر المفسرين[٣] .

والثاني : كنت من الجاهلين أنها تبلغ القتل ، وهذا قول قتادة ، قال : جهل نبي الله ولم يتعمد[٤] . والأول معنى قول ابن عباس في رواية عطاء : ﴿وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن نبوة ربي[٥] .

٢١. قوله : ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ ؛ أي ذهبت[٦] من بينكم حذراً على نفسي .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٧ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٥ عن قتادة قال : «وفي بعض القراءات : فعلتها إذاً وأنا من الجاهلين» .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٩ بنصه .

(٣) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٧ ، وهو في تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩أ بنصه . واقتصر عليه في الوسيط ٣/ ٣٥٢ ، والوجيز ٢/ ٧٨٨ ، وصدَّره ابن الجوزي ٦/ ١١٩ بقوله : وقال بعض المفسرين . . . . . قال الشنقيطي ٦/ ٣٧١ : ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ؛ أي قبل أن يوحي الله إليَّ ، ويبعثني رسولاً ، وهذا هو التحقيق إن شاء الله في معنى الآية .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٣ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٥ ، قال الهواري ٣/ ٢٢٤ : من الجاهلين ؛ أي لم أتعمد قتله . ونحوه عند النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٧٦ ، قال الثعلبي ٨/ ١٠٩أ : ونظيره قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف :٩٥] ، وقوله : ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف :٨] . واختار ابن قتيبة أن يكون المعنى : من الناسين . تأويل مشكل القرآن ٤٥٧ ، ونسب هذا القول في غريب القرآن ٣١٦ إلى أبي عبيدة ، ولم أجده في كتابه مجاز القرآن .

(٥) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٢ ، غير منسوب ، واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ .

(٦) في تنوير المقباس :٣٠٧ : «فهربت» .

قال مقاتل : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ ﴾ إلى مدين[١] لَمَّا خفتكم أن تقتلوني بمن قتلته[٢] . ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ يعني : نبوة ، قاله ابن عباس والسدِّي[٣] ، وقال مقاتل : يعني العلم والفهم[٤] ، وقال ابن زيد : عقلاً ، وقال الفرَّاء : التوراة[٥] ، وهو بعيد ؛ لأن التوراة أوتي[٦] بعد غرق فرعون .

٢٢. قوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . قال ابن السكيت : استعبده وعبَّده ؛ أي أخذه عبداً ، وأنشد قول رؤبة :

يَرضونَ بالتعبيدِ والتأمِّي[٧]

قال : ويقال : تَعَبَّدت فلاناً ؛ أي اتخذته عبداً ، مثل : عَبَّدته سواء . وتأمَّيت فلانة : اتخذتها أَمَةً[٨] . وينشد على هذا[٩] التعبد بمعنى التعبيد قول الشاعر :

تعبَّدَني نِمْرُ بنُ سعدٍ . . . البيت[١٠]

---

(١) (مدين) . غير واضحة في نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٤٨ب .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٧ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٥ عن السدِّي ، واقتصر عليه الهواري ٣/ ٢٢٤ ، وفي تنوير المقباس :٣٠٧ : «فهماً وعلماً ونبوة» . ونسبه السمرقندي ٢/ ٤٧٢ إلى الكلبي . وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٢ ، غير منسوب ، وكذا البغوي ٦/ ١١٠ ، وابن عطية ١١/ ٩٨ ، ونسبه ابن الجوزي ٦/ ١٢٠ إلى ابن السائب .

(٤) تفسير مقاتل ٤٨ب . واستظهره الشنقيطي ٦/ ٣٧٤ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٩ ، وبه قال الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ٨٦ .

(٦) هكذا في النسخ الثلاث ، والأصوب : (أوتيها) .

(٧) ذكره الأزهري (عبد) ٢/ ٢٣٣ من إنشاد ابن السكيت منسوباً إلى رؤبة . وفي الحاشية : قبله : ما لناس إلا كاثمام الثم . انظر : مجموع أشعار العرب ٣/ ١٤٣ ، وهو في اللسان (عبد) ٣/ ٢٧١ منسوباً إلى رؤبة .

(٨) تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٣ .

(٩) (هذا) في نسخة (أ) و(ب) .

(١٠) لم أجده في تهذيب اللغة ، وقد أنشده كاملاً في اللسان (عبد) ٣/ ٢٧٤ .

تعبَّدَني نمرُ بنُ سعدٍ وقدْ أُرى ... ونمرُ بنُ سعدٍ لي مطيعٌ ومهطِعٌ

ويقال أيضاً : أَعْبَدت الرجل بمعنى : عَبَّدته[١] ، قال الشاعر :

علامَ يُعبِدني قومِي وقدْ كثُرَتْ فيهمْ أباعِرُ مَا شـــاءُوا وعُبْدانُ[٢]

قال مجاهد في قوله : ﴿عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ : قهرتهم واستعملتهم[٣] .

وقال قتادة في هذه الآية : يقول موســى لفرعــون : أتَمُنُّ عليَّ أن اتخذت بني إسرائيل عبيداً[٤] .

وقال الســدِّي : تَمُنُّ عليَّ أن ربيتني فيك وليداً[٥] ، وأنت قد اســتعبدت بني إسرائيل فأرسلهم معي ولا تعذبهم .

وقال الكلبي : يقول : تَمُنُّ بها عليَّ ، وتستعبد بني إسرائيل[٦] .

---

(١) ذكره الأزهري ٢/ ٢٣٣ ، ولم ينسبه .

(٢) أنشــده الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٧٩ ، وعنه الثعلبي ٨/ ١٠٩ب ، وأنشــده ابن جرير ١٩/ ٦٨ ، والزَّجَّــاج ٤/ ٨٧ ، والأزهري ٢/ ٢٣٣ ، والطوسي ٨/ ١٢ ، والزمخشري ٣/ ٢٩٧ ، ولم ينســبوه ، وأنشده في اللسان ٣/ ٢٧٥ ، ونسبه للفرزدق ، وأنشده أبو القاسم عبدالرحمن الزَّجَّاجي ، ولم ينسبه ، واستشــهد به على أنه يقال : عبدت الرجل ، وأعبدته ، إذا اســتعبدته ، وأنزلته منزلة العبيد . اشتقاق أسماء الله ٣٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٨ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٠ .

(٤) تفســير عبدالرزاق ٢/ ٧٤ ، وعنه ابــن جرير ١٩/ ٦٩ ، وأخرجه عنه ابــن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٥ من طريق آخر . واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٦ ، ولم ينســبه . وصحَّح هذا القول ابن عطية ١١/ ١٠١ ، فقال : قول موسى ـعليه السلامـ تقرير بغير ألف ، وهو صحيح ، كما قال قتادة .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٨ .

(٦) تنوير المقباس ٣٠٧ بمعناه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٢ منسوباً إلى الكلبي .

وقال مقاتل : قال موسى : تَمُنُّ عليَّ إحسانك إليَّ خاصة في ما[١] زعمت ، وتركت[٢] إساءتك أن عبدت يعني : استعبدت بني إسرائيل[٣] . هذا ما ذكره المفسرون في هذه الآية ، وهو لا يفتح غُلقاً ولا يَحل مُشكلاً .

وجملة القول في هذه الآية أن أهل التأويل مختلفون فيها على قولين ؛ أحدهما : إن موسى أنكر أن يكون ثَمَّ[٤] لفرعون عليه نعمة[٥] .

قال صاحب النظم : لا يحتمل قوله : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ إلا أن يكون مستفهماً به ، بمعنى : أوَ تلك ، على الإنكار بلفظ الاستفهام[٦] ، ولا يحتمل أن يكون خبراً ؛ لأن تعبيد فرعون بني إسرائيل كيف يجعله موسى مِنَّة منه على نفسه ؟ فالمعنى : ما ذهبنا إليه ، وقد تستفهم العرب بلا ألف ، ثم ذكر[٧] أبياتاً فيها[٨] :

أفرحُ أنْ أُرْزَأَ الكِرامَ[٩]

---

(١) (في ما) من تفسير مقاتل ٤٨ب .

(٢) في تفسير مقاتل ٤٨ب : (وتنسى) .

(٣) تفسير مقاتل ٤٨ب .

(٤) (ثم) في نسخة (أ) و(ب) .

(٥) قال الثعلبي ٨/ ١٠٩أ : «اختلف العلماء في تأويلها ، ففسره بعضهم على الإقرار ، وبعضهم على الإنكار» .

(٦) ذكر هذا القول أبو علي كتاب الشعر ١/ ٥٦ ، ولم ينسبه .

(٧) في نسخة (ب) : (وقد ذكرنا أبياتاً) .

(٨) في نسخة (ج) : (منها) .

(٩) أنشده الأزهري (نبل) ١٥/ ٣٥٩ عن أبي عبيد أنه قال : وحدثني محمد بن إسحاق بن عيسى عن القاسم بن معن : أن رجلاً من العرب توفي فورثه أخوه ، فعيَّره رجل بأنه فرح بموت أخيه لمَّا ورثه ، فقال :

أفرحُ أنْ أرزأَ الكرامَ وأنْ أُورثَ ذَوداً شصائصاً نَبَلاً

قال : والنبل في هذا الموضع : الصغار الأجسام . وفي اللسان (نبل) ١١/ ٦٤١ : «يقول : أأفرح بصغار الإبل ، وقد رزئت بكبار الكرام ؟ قال ابن بري : الشعر لحضرمي بني عامر» .

قال : أراد : أأفرح ؛ لأنه ينكر ذلك ولا يقبله ، ومنها :

بسبعٍ رمينَ الجمرَ . .[١]

وهذا الذي ذكره هو قول الأخفش ، قال : هذا استفهام كأنه قال : أوَ تلك نعمة تمنها ؟ ثم فسَّر فقال : ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، فجعله بدلاً من النعمة[٢] . قال أبو العباس : وهذا غلط لا يجوز أن يُلْقَى الاستفهام ، وهو يُطلَب فيكون الاستفهام كالخبر ، وقد استقبح ومعه (أمْ) ، وهي دليل على الاستفهام ، واستقبحوا قول امرئ القيس :

تروحُ مِنَ الحيِّ أمْ تَبْتَكِرْ[٣]

(١) أنشده منسوباً إلى ابن أبي ربيعة سيبويه ٣/ ١٧٥ . وفي الحاشية : الشاهد فيه : حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها . وأنشده كذلك المبرِّد في المقتضب ٣/ ٢٩٤ ، والبيت بتمامه عندهما :

لعمركَ ما أدري وإنْ كنتُ دارياً بسبعٍ رمينَ الجمرَ أمْ بثمانِ

عند سيبويه والمبرِّد بالنون : رمين . ورواية البيت في الديوان ٣٩٩ .

فوالله ما أدري وإنِّي لحاسبٌ بسبعٍ رمينَ الجمرَ أمْ بثمانِ

ورميت أولى ؛ لأنه يصور ذهوله عند رؤية عائشة بنت طلحة ، وقد رآها في الحج .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٦ .

(٣) ديوان امرئ القيس ٢٢ ، وعجزه :

وماذا عليكَ بأنْ تنتظر

وذكره ابن جرير ١٩/ ٦٩ كاملاً ، ولم ينسبه ، وذكر صدره فقط الأزهري ٢/ ٢٣٢ منسوباً إلى امرئ القيس . وفي حاشية ابن جرير : تروح : أتروح ، وتبتكر : تخرج مبكراً ، يقول : أتروح إلى أهلك آخر النهار أم تخرج إليهم بكرة ، وما الذي يعجلك عن الانتظار وهو خير لك ؟ والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام ، اكتفاء بدلالة أم عليه ، وبعضهم يستقبح الحذف في هذا الموضع .

بمعنى : أتروح ، فحذف الاستفهام واكتفى[١] بـ (أم) ، فذهب الأكثرون إلى أن الأول خبر ، والثاني استفهام ، فأمَّا وليس معه (أم) فلم يقله إنسان . انتهى كلامه[٢] .

ولتحقيق الإنكار وجه غير تقدير الاستفهام . قال محمد بن إسحاق بن يسار في هذه الآية : أقبل موسى على فرعون ينكر عليه ما ذكر من يده عنده ، فقال : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ؛ أي اتخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت ، وتقتل من شئت ؛ أي إنما صيرني إليك[٣] وإلى بيتك ذلك[٤] .

واختار الزَّجَّاج والأزهري هذا القول وشرحاه . قال الزَّجَّاج : المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار أن تكون تلك نعمة ، كأنه قال : وأيُّ نعمة لك عليَّ في أن عبدت بني إسرائيل ، واللفظ لفظ خبر ، قال : ويخرج المعنى على ما قالوا أن لفظه لفظ الخبر ، وفيه تبكيت للمخاطب ، على معنى أنك لو كنت لا تقتل[٥] أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمنن عليَّ بما كان بلاؤك سبباً له . انتهى كلامه[٦] .

---

(١) ساقطة من (ب) .

(٢) ذكره ابن جرير ١٩/ ٦٩ بنصه ، وصدَّره بقوله : وكان بعض أهل العربية ينكر هذا ولم يسمه . وذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٧٦ ، ولم ينسبه ، وقد صرَّح فيه بالرد على الأخفش . وذكره بنصه الأزهري ٢/ ٢٣٢ منسوباً إلى أبي العباس .

(٣) (إليك) في نسخة (أ) و(ب) .

(٤) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ . وقد وقع في المطبوع : «وإني إنما صيرني إليك لأبين لك ذلك» ، وهو مخالف للمخطوط ٢٠٩ب ، ولما في تاريخ ابن جرير .

(٥) (لا تقتل) من (ج) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٦ .

وزاد الأزهري بياناً لهذا القول ، فقال : إن فرعون لَمَّا قال لموسى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ فاعتد عليه بأن ربَّاه وليداً منذ وُلِد إلى أن كبر ، وكان من جواب موسى لـه : تلك نعمة تعتد بها عليَّ لأنك عبدت بنـي إسرائيل ، ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي ، ولم يلقوني في اليم ، فإنما صارت نعمة لِما أقدمت عليه مما حظره الله عليك . انتهى كلامه[١] .

ونظير هذا من الكلام أن يَمنُن إنسانٌ على غيره تربيتَه ، فيقول له المخاطب : هذه النعمة حصلتْ لك عليَّ بـأن قتلت أبوي ، ولو لم تقتلهما لربياني ، فيكون في ذكر سبب تربيته إيَّاه دفعاً لما ذَكر من النعمة عليه[٢] ، كذلك لَمَّا ذَكر موسى تعبيده بني إسرائيل كان في ذلك إبانةً لسـبب حاجة موسـى إلى تربية فرعون ، ودفعاً لِما ذَكر من النعمة عليه . وإلى هذا القول أشار[٣] المبرِّد ، فقال : التربية كانت بالسبب الـذي ذكره الله من التعبيد ، فقال موسـى : تربيتك إيَّـاي كانت لأجل التملك والقهر لقومـي ، فقوله : ﴿تِلْكَ﴾ ابتداء ، و : ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ خبره ، و : ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ بدل من النعمة ، مُبيِّن لها ، وتقديره : تعبيدك بني إسرائيل .

هذا الذي ذكرنا وجه قول مَن قال بالإنكار .

القول الثاني : إن موسـى أقر بنعمة التربية ، وهو قـول الفرَّاء[٤] ، ومذهب أبي العبـاس[٥] ، ووجهه أن فرعون لَمَّا قال لموسـى : ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ؛ أي لنعمة تربيتي لك ، أجاب موسـى ، فقال : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ الآية ؛ يقول : هي لعمري نعمة إذ ربيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل ، فـ﴿أَنْ﴾ تدل على

---

(١) تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٢ .

(٢) (عليه) . في نسخة (أ) و(ب) ، وفي نسخة (أ) (زيادة) وإلى هذا القول (والكلام مستقيم من دونها) .

(٣) في نسخة (ب) : (ذهب أشار) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٩ .

(٥) تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٢ .

ذلك . ومثلــه في الكلام : أن تضرب أحد عبيدك وتترك الآخر ، فيقول المتروك : هذه نعمة عــليَّ أنْ ضربت فلاناً وتركتني ، ثم تحــذف : وتركتني . والمعنى قائم معــروف . هذا كله كلام الفرَّاء ، قال : وقد تكون ﴿أَنْ﴾ رفعاً ونصباً ، أمَّا الرفع فعــلى قولك : وتلك نعمة تمنها عليَّ تعبيدك بني إسرائيــل . والنصب : تَمَنَّها عليَّ لتعبيدك بني إسرائيل . انتهى كلامه[١] .

ووجه هذا القول يصــح في النظم بتقدير محذوف ، كأنه قال : وتلك التي[٢] تذكر نعمة لك تمنها عليَّ لأن عبدت بني إسرائيل . هذا وجه الإقرار بنعمة التربية . ومذهب المفسرين : الإنكار ، وما حكينا من أقوالهم يدل على الإنكار .

٢٣. قوله تعــالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال محمد بن إســحاق : يســتوصفه إلهه الذي أرسله إليه ؛ أي ما إلهك هذا ؟[٣] فأجابه موسى بــما هو دليل على الله -عز وجل- بما خلــق مما يُعجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثله[٤] .

٢٤. فـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ . قال ابن[٥] الأنباري : يقال : كيف استجاز موسى حين سأله فرعون أن يجيبه بأن يقول : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ وهذا ليس بجواب لسؤاله ؛ لأن من قيل له : ما زيد ؟ لم يكن جوابه : زيد يملك خمسين ديناراً ؛ لأن (ما) سبيلها أن تستفهم بها عن الأسماء من الأجناس والأنساب ، فإذا قال القائل : ما هذا ؟ أُجيب بأحد جوابين ؛ إمَّا أن يُقال له : هاشمي ،

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٩ .

(٢) التي . في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٧ بنصه .

(٥) (ابن) في نسخة (ب) .

قرشي ، إذا عَلم المخاطب أنه يعرف جنس الذي يستفهم عنه ، وإمَّا أن يُجاب بالجنس ، فيقال : إنسان ، بهيمة ، حائط ، فجواب موسى لم يقع على حسب سؤال فرعون .

والجواب أن فرعون أحال في سؤاله ، فسأل عن جنس من لا جنس له فاستجهله موسى ، فأضرب عن سؤاله فلم يجبه عنه ، بل أخبره من قدرة الله وعظيم ملكه وسلطانه بما يردعه عن جهله في ما كان سأل عنه . والدليل على أن موسى لم يجب عن سؤاله أنه لَمَّا سمعه منه أقبل على جلسائه ، فقال : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ ؛ إذ لم يجبني عن سؤالي ! فلم يلتفت موسى إلى ذلك من قوله ، وأشاعَ تعظيم مُلْكَ ربه ، فقال : ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ الآية .

والجواب الثاني أن موسى علم أن قصده في السؤال معرفةُ من سأل عنه فأجاب بما يعلم من صفاته ؛ لأن الذي يجب على المسؤول أن يُخبر بما يعلم ، فكأن موسى أجاب عن معنى السؤال بما يَعرف ، ولم يلتفت إلى ظاهره .

وقيل : إن موسى عَلِم أن فرعون يعلم أن اللهَ ربُّه ؛ وإن أظهر غير ما يعلم ، فلمَّا قال له : ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لم يقع في نفسه أنه يَسأل عن ربه ليُحدده ، بل قَدَّر أنه يسأله عن مُلك ربه ؛ فكأن التقدير : وما مُلك رب العالمين ؟ فقال : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية . وغير ممتنع في اللغة أن يُجاب السائل في قوله[1] ما مُلك ربك ؟ بأن يقال : ربُّك مَلِك العراق وخراسان ، ومالك أكثر الأرض . انتهى كلامه[2] .

(١) (في قوله) من نسخة (أ) .

(٢) قال ابن كثير ٦/ ١٣٨ : «ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط ، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحداً له بالكلية في ما يظهر» .

قال الكلبي : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أنه خلق ذلك[١] .

وقال أهل المعـــاني : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أن ما تعاينونه كما تعاينونه[٢] ، يعني : إن كنتم تثبتون المشاهدات والمعقولات ؛ لأن من أثبت المعقول لا يكاد يخفى عليه الخالق إذا شاهد المخلوق .

٢٥. قوله : ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ . قال أبو إســحاق : لَمَّا قال موسى : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ تحيَّر فرعون ولم يَرُدَّ جواباً ينقض به هذا القول ، فـــ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[٣] . قال ابن عباس : يريد ألا تستمعون مقالة موسى[٤] . فزاد موسى في البيان ، فقال[٥] :

٢٦. ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ . قــال الفــرَّاء : إنــما لم يجبــه الملأ ؛ لأن موســى كان المــراد بالجواب ، فقــال : الــذي أدعوكــم إلى عبادته ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٦] . قال محمد بن إســحاق : الذي خلق آباءكــم الأولين ، وخلقكم من آبائكم[٧] . فلــم يجبه فرعون أيضاً بما ينقض قوله ، وقال :

---

(١) تنوير المقباس :٣٠٧ ، وتفســير الثعلبي ٨/ ١٠٩ب منسوباً إلى الكلبي . وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٢ ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٩ ، وهو بنصه في تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩ب .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٧ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٢ ، ولم ينسبه .

(٤) الوسيط ٣/ ٣٥٢ منسوباً إلى ابن عباس ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٦٩ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٧ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٩ .

(٧) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ .

٢٧. ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾[١] . قال محمد بن إسحاق : أي ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن له إلهاً غيري[٢] .

وقال أهل المعاني : كلتا المقالتين من فرعون مقالة العاجز عن الاعتراض على الحجة[٣] ، قوله :﴿أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾ ، وقوله : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ الآية ، فلم يشتغل موسى بالجواب عما نسبه إليه من الجنون ، ولكن اشتغل بتأكيد الحجة ، فأتبع ما سبق من الدليل دليلاً آخر زيادة في الإبانة ، فقال[٤] :

٢٨. ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ . قال مقاتل : إن كنتم تعقلون توحيد الله[٥] .

وقال أهل المعاني : إن كنتم ذوي عقول لم يَخف عليكم ما أقول[٦] ، كقوله : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء :٢٤] .

قال أبو إسحاق : فلم يجبه في هذه الأشياء بنقيضٍ لحجته[٧] ، وإنما قال :

٢٩. ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ ؛أي[لأسجننَّك ،و][٨] لأحبسنَّك مع من حبسته في السجن[٩] .

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٢ .

(٢) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٨ بمعناه .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩ ب بمعناه .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩ أ .

(٦) الوسيط ٣/ ٣٥٢ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٨٨ ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٢ غير منسوب .

(٨) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٩) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٠ ، قال الزمخشري ٣/ ٣٠٠ : «فإن قلت : ألم يكن لأسجننك أخصر من : ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ ومؤدياً مؤدَّاه ؟ قلت : أمَّا أخصر فنعم ، وأمَّا مؤد مؤدَّاه فلا ؛ لأن معناه : =

قال الكلبي[(١)] : وكان سجنه أشد من القتل[(٢)] .

فقال موسى حين توعده بالسجن :

٣٠. ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يعني : أتسجنني ولو جئتك بشيء مبين[(٣)] .

قال محمد بن إسحاق : أي بأمر تعرف فيه صدقي وكذبك ، وحقي وباطلك[(٤)] .

وهذه الآيات من هنا [٣١ ، ٣٢] مُفسَّرة في سورة الأعراف إلى قوله :

= لأجعلنك واحداً مما عرفت حالهم في سجوني «هكذا في الكشاف مما عرفت . فاللام» ، في (المسجونين) للعهد . تفسير أبي السعود ٦/ ٢٤٠ ، ومع تجبر فرعون وطغيانه فإنه ذُهل عن تهديد نبي الله موسى ـعليه السلام ـ بالقتل ؛ وذلك تحقيقاً لوعد الله له بألَّا يقدروا على ذلك ، فمنعوا حتى من تخويفه به ، ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا﴾ .

(١) (الكلبي) في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) تنوير المقباس :٣٠٧ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩ب ، وفيهما زيادة (وكان إذا سجن أحداً طرحه في مكان وحده فرداً ، لا يسمع فيه شيئاً ، ولا ينظر فيه شيئاً ، يهوله به) ، وهو كذلك عند البغوي ٦/ ١١١ منسوباً إلى الكلبي . ونسبه السمرقندي ٢/ ٤٧٢ إلى ابن عباس .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩ب بمعناه .

(٤) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٧ ، والآية دليل ظاهر على عدِّ المعجزات من أدلة النبوة ، لكن ليست هي الدليل الوحيد ، بدليل قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود :٥٣] فلم يذكر لهم نبي الله هود ـعليه السلام ـ معجزة وإنما ، تحداهم بقوله : ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود :٥٤ ، ٥٥] . وانظر : شرح العقيدة الواسطية ١٥٠ ، تخريج : الألباني .

وقد أساء الزمخشري ٣/ ٣٠٠ في تعليقه على قوله تعالى : ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بتعريضه تفضيل فرعون على أهل السُّنة بسبب قولهم : إن المعجزات دليل صحيح على النبوة ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات ، وقد أجاد ابن المنير ـرحمه الله تعالى ـ في الرد عليه . الانتصاف بحاشية الكشاف ٣/ ٣٠٠ .

٣٨. ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ . قال مقاتل : يعني لميعاد[١] يوم معلوم ، وهو يوم عيدهم ، وهو يوم الزينة[٢] .

٣٩. ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعني : لأهل مصر[٣] . ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ إلى السحرة . وقيل : لتنظروا ما يفعل الفريقان ، ولمن تكون الغلبة[٤] .

٤٠. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ على أمرهم ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لموسى ولأخيه . قاله مقاتل[٥] : وإنما قالوا : ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ ؛ لأن السحرة لم يكونوا متبوعين ، وإنما كانوا سحرة حشروا إليهم من مدائن صعيد مصر ، فقالوا : إن غَلبوا موسى اتبعناهم[٦] .

وما بعد هذا [٤١-٤٣] مُفسَّر إلى قوله :

٤٤. ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ ؛ أي بقوته التي يمتنع بها من لَحاق الضيم[٧] .

---

(١) في نسخة (ج) : (لميقات) .

(٢) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩ب . قال تعالى : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه :٥٩] .

(٣) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٣ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٠أ بنصه . أخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٦٢ عن السدِّي : حشر الناس ينظرون .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩ب .

(٦) أخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٦٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما : فلمَّا اجتمعوا في صعيد ، قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ، ونتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ، يعني بذلك موسى وهارون عليهما السلام استهزاءً بهما . قال ابن كثير ٦/ ١٤٠ : ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة ، أو من موسى ، بل الرعية على دين ملكهم .

(٧) ذكره الطبرسي ٧/ ٣٩٦ بنصه ، ولم ينسبه . قال البيضاوي ٢/ ١٥٥ : أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم ، أو لإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر . يقال : ما ضِمت أحداً ، ولا ضُمت ؛ أي ما نقصت ، والمَضيم : المظلوم . تهذيب اللغة (ضام) ١٢/ ٩٢ .

قال مقاتل : يعني : بعظمة فرعون ، كقوله لشعيب : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ [هود :٩١] يعني : بعظيم(١) ، وهذا قَسَم غير مبرور(٢) .

والباقي [٤٥-٤٩] مُفسَّر إلى قوله :

٥٠. ﴿لَا ضَيۡرَ﴾ ؛ أي لا ضرر علينا في ما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة ، قاله الزَّجَّاج(٣) .

وقال مقاتل : ﴿لَا ضَيۡرَ﴾ هل هو إلا أن يقتلنا(٤) ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة(٥) .

٥١. قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا﴾ مُفسَّر في سورة الشعراء(٦) .

﴿إِن كُنَّآ﴾ ؛ أي لأن كنَّا(٧) . ﴿أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال الفرَّاء : أول مؤمني أهل(٨) زماننا(٩) .

---

(١) تفسير مقاتل ٤٩ بنصه .

(٢) ذكره الطبرسي ٧/ ٢٩٦ بنصه ، ولم ينسبه . وفي الباء قول آخر ، هو : أنهم قالوا ذلك على جهة التعظيم لفرعون ، والتبرك باسمه ، فالباء في ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ كالباء في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ . ذكر هذا القول ابن عطية ١١/ ١٠٧ ، واستحسنه ابن عاشور ١٩/ ١٢٧ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٠ ، قال ابن قتيبة : «هي من : ضاره يضوره ، ويضيره ، بمعنى : ضرَّه» . غريب القرآن ٣١٧ .

(٤) في تفسير مقاتل ٤٩أ : «ما عشت أن تصنع ، هل هو إلا بقتلنا» .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٦٧ عن سعيد بن جبير .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [٥١] .

(٧) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٤ ، قال الزَّجَّاج ٤/ ٩٠ : بفتح (أن) ؛ أي لأن كنَّا أول المؤمنين .

(٨) في نسخة (ب) : (دهرهم) ، ولا أحسبه عرف الرواية ، وهذا مكرر مما بعده .

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٠ ، واقتصر عليه الثعلبي ٨/ ١١٠أ ، ولم ينسبه ، وكذا البغوي ٦/ ١١٣ .

وقال مقاتل : أول المصدقين بتوحيد الله من أهل مصر[١] .

وقال الزَّجَّاج : زعم الفرَّاء أنهم كانوا أول مؤمني أهل دهرهم[٢] ! ولا أحسبه عرف الرواية في التفسير ؛ لأنه جاء في التفسير أن الذين كانوا مع موسى ستمائة ألف ، وإنما المعنى : أن كنَّا أولَ من آمن في هذه الحال عند ظهور آية موسى[٣] .

وقال غيره : ﴿ كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بآيات موسى ممن كان يعمل بالسحر[٤] .

٥٢. قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ ﴾ مُفسَّر في سورة طه[٥] .

﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر[٦] .

٥٣. ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ يحشرون الناس لطلب موسى وهارون[٧] ؛ أي أرسَل من جَمع له الجيش[٨] .

٥٤. [قوله : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . قال مقاتل : ثم قال فرعون : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني : بني إسرائيل .

---

(١) تفسير مقاتل ٤٩أ .

(٢) قال الفرَّاء ٢/ ٢٨٠ : أول مؤمني أهل زماننا .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٠ ، وقول الفرَّاء أَوْلى ، موافق لظاهر الآية ، واعتراض الزَّجَّاج ليس بقوي ؛ لأنها روايات موقوفة ليست مرفوعة ، فالأقرب أنها من أخبار بني إسرائيل ، والله أعلم .

(٤) أخرج ابن جرير ١٩/ ٧٤ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٦ ، عن ابن زيد ، في قوله : ﴿ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : كانوا كذلك يومئذٍ أول من آمن بآياته حين رأوها .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ [٧٧] .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٠أ .

(٧) تفسير مقاتل ٤٩أ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٠ بنصه .

وقال أبو إسحاق :][1] معناه : فجمع جمعه ، فقال : ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ والشرذمة في كلام العرب : القليل[2] .

وقال المبرِّد : الشرذمة : القطعة من الناس غير الكثير ، وجمعها : الشراذم[3] . ويقال للحلفاء إذا قلوا[4] : بنوا فلان شرذمة بني فلان . قال مقاتل في قوله : (شرذمة) عصابة[5] .

وقوله : ﴿قَلِيلُونَ﴾ . قال الفرَّاء : يقال : عصبة قليلة ، وقليلون ، وكثيرون ، جائز عربي ؛ وإنما جاز لأن القلة تلزم جميعهم في المعنى فظهرت أسماؤهم ، ومثله : أنتم حي واحد ، وحي واحدون . قال الكُمَيْت :

فَرَدَّ قواصي الأحياءِ منهُمْ فقدْ رجعُوا كحيٍّ واحِدينا[6]

ومعنى واحدون : واحد ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج[7] . وكان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف في قول مجاهد ، ومقاتل ، وابن الهاد ، وابن مسعود[8] .

---

(١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٠ وتفسير ابن جرير ١٩/ ٧٤ .

(٣) تهذيب اللغة (شرذم) ١١/ ٤٥٠ بلفظ : «الجماعة القليل» ، واستدل بالآية ، ولم ينسبه . وذكر قول المبرِّد ونسبه : الشوكاني ٤/ ٩٨ .

(٤) في نسخة (ج) :(قاموا) .

(٥) تفسير مقاتل ١٤٩أ ، وقال ابن قتيبة : طائفة . غريب القرآن ٣١٧ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٠ . وأنشده ابن جرير ١٩/ ٧٥ ، وفيه : صاروا ، (بدل) (رجعوا) ، وذكره الزَّجَّاج ٤/ ٩١ مقتصراً على عجزه ، وقد نسبوه جميعاً إلى الكميت . والبيت من نونية الكميت ، شرح : أبي رياش اليمامي ، تحقيق الأستاذ الشيخ حمد الجاسر ، وقد طبعت القصيدة مع شرحها بالتحقيق المذكور مع كتاب شرح هاشميات الكميت ٢٥٥ . قال اليمامي : يعني بذلك ائتلاف ربيعة ومضر ، واجتماعهم ، وقال الجاسر ٢٤١ : لعل المقصود به : قصي بن كلاب .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩١ .

(٨) تفسير مقاتل ١٤٩أ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٧٥ ، ٧٦ عن أبي عبيدة ، وابن مسعود ، وعبدالله بن شداد بن الهاد ، وقيس بن عباد ، وابن جريج . قال الشوكاني ٤/ ١٠٠ بعد سياقه الخلاف =

قال مجاهد : ولا يُحصى عدد أصحاب فرعون[١] .

٥٥. وقوله : ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : يقال : غاظني فلان ، وأغاظني ، [والأول أفصح[٢] .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : غاظني فلان وأغاظني][٣] وغيظني بمعنى واحد[٤] . والغيظ : الغضب ، ومنه قوله : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك :٨] . والتغيظ والاغتياظ واقعان منه ، قال الله تعالى :﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان :١٢] . وقد مرَّ ، والمغايظة بين اثنين .

قال مقاتل : ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ بقتلهم أبكارنا ثم هربهم منَّا[٥] .

وقال آخرون : أي مما أخذوه من العواري التي استعاروها من الحلي ، وخروجهم من أرضنا على مخالفة لنا[٦] .

= في عددهم : «أقول : هذه الروايات المضطربة قد روي عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب ، والاختلاف ، ولا يصح منها شيء عن النبي ﷺ» .

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦١ ، وابن جرير ١٩/ ٧٦ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٢ بلفظ : يقال : «قد غاظني فلان» ، ومن قال : أغاظني فقد لحن .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تهذيب اللغة (غاظ) ٨/ ١٧٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وقد ذكر قبل ذلك أن جبريل ـعليه السلامـ أمر أن يجمع كل أهل أربعة أبيات من بني إسرائيل في بيت ، ويعلم على تلك الأبواب بدم ، فإن الله ـعز وجلـ يبعث الملائكة إلى أهل مصر ؛ من لم يروا على بابه دماً دخلوا بيته فقتلوا أبكارهم ، من أنفسهم وأنعامهم ، فيشغلهم دفنهم إذا أصبحوا عن طلب موسى فذلك اتهامهم لهم بقتل أبكارهم . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٧٦ عن ابن جريج . وكل هذا من أخبار بني إسرائيل مما لا دليل عليه . ومعنى الآية ظاهر فإن سبب الإغاظة الحقيقي مفارقتهم لدينهم ، وإيمانهم بنبي الله موسى عليه السلام ، والله أعلم .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٦ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٤ ، ولم ينسبه ، وهو كالقول السابق .

٥٦. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾: وقُرِئ: ﴿حَٰذِرُونَ﴾[١]. قال الفرَّاء: وكأن: الحاذر الذي يحذرك الآن، وكأن: الحَذِر المخلوق حَذِراً لا تلقاه إلا حذراً[٢].

وقال الزَّجَّاج: الحاذر: المستعد، والحذر: المتيقظ[٣].

وقال أبو عبيدة: رجل حَذِر وحَذُر[٤] وحاذر.

قال ابن أحمر:

هَلْ أُنسأَنْ يوماً إلى غيرِهِ ... إنِّي حوالِيٌّ وإنِّي حَذِرٌ[٥]

قال: حوالي: ذو حيلة[٦].

وأنشد أيضاً للعباس بن مرداس:

وإني حاذرٌ أنْمِي سلاحي ... إلى أوصالِ ذَيَّالٍ منيعِ[٧]

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (حذرون) بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر السبعة في القراءات ٤٧١، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٥٨، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٥.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٠.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٢.

(٤) في نسخة (ب): (حذر) مرة واحدة.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٦، ونسب البيت إلى ابن أحمر. وضبطت: إني في الموضعين بالفتح. وذكره ابن جرير ١٩/ ٧٧، من قول ابن أحمر وذكره أبو علي، نقلاً عن أبي عبيدة، مقدماً العجز على الصدر، ولفظه:

إنِّي حوالِيٌّ وإنِّي حذرٌ ... هلْ ينسأن يومي إلى غيرِهِ

ونسبه إلى ابن أحمر. انظر: الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٥٨، وفي الحاشية: ليس في شعر ابن أحمر المطبوع. وفي اللسان (حول) ١١/ ١٨٦: ويقال: رجل حوالي للجيد الرأي ذي الحيلة، قال ابن أحمر. ويقال: للمرار بن منقذ العدوي:

أوْ تنسأن يومي إلى غيرِهِ ... إنِّي حوالِيٌّ وإنِّي حذرٌ

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٦.

(٧) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٦ منسوباً إلى عباس بن مرداس، وفيه: «الذيال: الفرس الطويل =

قال أبو علي : يقال : حَذِر يَحذَر حَذَراً ، واسم الفاعل : حَذِر . فأمَّا حاذر فإنه يراد به أنه يفعل الحذر في ما يَستقبل ، وكذلك قوله : وإني حاذر ، كأنه يريد : متحذر عند اللقاء[١] .

وقال شمِر : الحاذر : المُؤدي الشاكُّ في السلاح[٢] ، وكذا جاء في التفسير . روى أبو إسحاق عن الأسود في قوله : ﴿حَٰذِرُونَ﴾ قال : مُؤدُون مقوون[٣] ؛ أي ذووا أداة وقوة ، ويروى عنه : مؤدون مستعدون ، وقال الضحاك : شاكُّون في السلاح[٤] .

وقال مقاتل : مُؤدُون علينا السلاح[٥] .

= الذنب» . وذكره أبو علي نقلاً عن أبي عبيدة . الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٥٩ ، وأنشده في اللسان (ذيل) ١١/ ٢٦٠ عن ابن برِّي .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٥٩ .

(٢) تهذيب اللغة (حذر) ٤/ ٤٦٢ ، الشِّكة : ما يلبسه الرجل من السلاح ، وقد خفف فقيل : شاكي السلاح ، وشاكُّ السلاح . تهذيب اللغة (شك) ٩/ ٤٢٥ .

(٣) أخرجه عنه عبدالرزاق ٢/ ٧٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٧٧ بسنده عن أبي إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ : ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ قال : مقوون مؤدون ، وأخرجه أيضاً ابن جرير ١٩/ ٧٨ ، عن ابن عباس .

(٤) أخرج ابن جرير ١٩/ ٧٧ عن الضحاك أنه كان يقرأ : ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ يقول : مؤدون . وفي تفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٤ : «مؤدون شاكون في السلاح» ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩أ بلفظ : «علينا بالسلاح» . وفي تفسير مجاهد ٢/ ٤٦١ : «وادون مستعدون» . وفي الحاشية : كذا في المخطوطة واضحاً ، غير أنَّا لم نتمكن من معرفة معنى هذه الكلمة الملائم هاهنا ، ولعله : مادون في السلاح ، كما في الدر المنثور ، أو مؤدون ؛ أي كاملو أداة الحرب ، شاكو السلاح ، مستعدون للحرب ، ويمكن أن يكون : آدون من أدا السبع للغزال ، إذا ختله وخدعه واختفى له ليصيده فيأكله ، والله أعلم . ذكر الفرَّاء ٢/ ٢٨٠ أن ابن مسعود قرأ : (وإنا لجميع حاذرون) يقولون : مؤدون في السلاح . يقول : ذوو أداة من السلاح . قال الزَّجَّاج : مؤدون ؛ أي ذوو أداة ؛ أي ذوو سلاح ، والسلاح أداة الحرب . معاني القرآن ٤/ ٩٢ .

وسأل نافع بن الأزرق ، ابنَ عباس[١] عن قوله : ﴿حَٰذِرُونَ﴾ ما هو ؟ فقال : التامون[٢] السلاح .

وأنشد قول النجاشي[٣] :

حنيفةُ في كتائبَ حاذراتٍ يقودُهُم أبو الشِّبلِ الهِزبرُ[٤]

وهذا الذي ذكره أهل التفسير معنى وليس بتفسير ؛ وذلك أن من شأن من يحذر الشيء أن يستعد له ، ويأخذ له الحذر ، وإلا فكم من حذر لا سلاح معه . ومعنى الحَذَر في اللغة : اجتناب الشيء خوفاً منه . قال الليث في قوله : ﴿حَٰذِرُونَ﴾ نَخاف شَرَّهم[٥] ، وذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء :٧١][٦] .

٥٧. قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ : يعني فرعون وقومه[٧] . ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ . قال مقاتل : يعني البساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ يعني : أنهاراً جارية[٨] .

---

(١) (ابن عباس) في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : بحذف نون الإضافة ، وفي الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ بالنون .

(٣) انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ١/ ٣٢٩ ، والخزانة ١/ ٢٣١ ، والأعلام ٥/ ٢٠٧ .

(٤) ذكره عن ابن عباس ، ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٣٠٣ ، وفيه : الحاذرون : «الممتلئون من السلاح» ، وأنشد البيت ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : لم أقف عليه . وحنيفة : أبو حي من العرب ، وهو : حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . لسان العرب (حنف) ٩/ ٥٨ .

(٥) كتاب العين (حذر) ٣/ ١٩٩ بلفظ : «وتقرأ الآية بلفظ : (وإنا لجميع حاذرون) ؛ أي مستعدون» ، ومن قرأ : (حذرون) فمعناه : إنا نخاف شرهم . ونقله الأزهري في تهذيب اللغة (حذر) ٤/ ٤٦٢ .

(٦) قال الماوردي ٤/ ١٧٢ : السلاح يسمى : حذراً ، قال الله تعالى : ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ ؛ أي سلاحكم .

(٧) تفسير الطوسي ٨/ ٢٥ بنصه .

(٨) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وتنوير المقباس ٣٠٧ .

٥٨. ﴿وَكُنُوزٍ﴾ : يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة[١] ، وإنما سُمِّي كنـزاً ؛ لأنه لم يعطَ حق الله منها . وكل ما لا يعطى حقُّ الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً[٢] .

ثم قال : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [يعني : المساكن الحسان[٣] . قال المفسرون في قوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾][٤] : هو المجلس الحسن[٥] من مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تَحفُّ بها الأتباع[٦] .

٥٩. وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي كما وصفنا[٧] . وقال مقاتل : هكذا فعلنا بهم في الخروج من مصر ، ومما كانوا فيه من الخير[٨] .

وقوله : ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . قال الحسن : رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد إهلاك فرعون[٩] ، وقال مقاتل : إن الله تعالى ردَّ بني إسرائيل بعد ما أغرق فرعون وقومه إلى مصر[١٠] .

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١١٠ب ، والبغوي ٦/ ١١٤ عن مجاهد ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٤ غير منسوب . قال عبدالله بن عمر في قول الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة :٣٤] مَنْ كنزَها فلم يؤدِّ زكاتها فويل له . أخرجه البخاري ، كتاب : الزكاة ، رقم ١٤٠٤ ، فتح الباري ٣/ ٢٧١ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وتنوير المقباس :٣٠٧ .

(٤) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٠ب . واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٧٩٠ .

(٦) بنصه في تفسير الطوسي ٨/ ٢٥ ، والبغوي ٦/ ١١٤ ، ولم ينسباه ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٤ غير منسوب . وحكى الماوردي ٤/ ١٧٢ عن ابن عيسى أنها : مجالس الأمراء .

(٧) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٠ب ، والبغوي ٦/ ١١٤ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٠ب .

(٩) تفسير الطوسي ٨/ ٢٦ بنصه منسوباً إلى الحسن .

(١٠) تفسير مقاتل ٥٠ ب .

٦٠. ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ . قال عبدالله بن مسلم[١] : لحِقوهم مصبحين حين شرقت الشمس ؛ أي طلعت ، يقال : أشرقنا ؛ أي دخلنا في الشروق[٢] ، وقد مرَّ[٣] . والكلام في معنى أتبع ذكرناه في قوله : ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف :١٧٥][٤] .

٦١. وقوله : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ ؛ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه[٥] ، وهو مفاعل من : الرؤية ، كما يقال : تراءَا الحزبان .

قال مقاتل : عاين بعضهم بعضاً . والجمعان : جمع موسى ، وجمع فرعون[٦] . وجازت التثنية ؛ لأنه يقع على صفة التوحيد ، فيقال : هذا جمع واحد ، كقولك : جملة واحدة .

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ . قال الزَّجَّاج : أي سيدركنا جمع فرعون هذا الكثير ، ولا طاقة لنا بهم[٧] .

قال مقاتل : قالوا : هذا فرعون وجنوده قد لحقونا من ورائنا ، وهذا البحر أمامنا قد غشيناه ، ولا منقذ لنا منه[٨] ، فقال موسى ثقة بنصر الله[٩] :

---

(١) عبدالله بن مسلم هو ابن قتيبة .
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٧ ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٢ .
(٣) عند قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر :٧٣] .
(٤) قال الواحدي : وقوله تعالى : ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ . قال عبدالله بن مسلم : أي أدركه ، يقال : اتبعت القوم إذا لحقتهم . قال أبو عبيد : يقال : اتبَعتُ القوم ، مثال : أفعَلت ، إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ، فعلى هذا معنى : اتبعه الشيطان ؛ أي أسرع خلفه .
(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٠ب .
(٦) تفسير مقاتل ٥٠ ب .
(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٢ .
(٨) تفسير مقاتل ٥٠ ب .
(٩) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٠ب ، وتفسير الطوسي ٨/ ٢٦ .

٦٢. ﴿كَلَّآ﴾ ؛ أي ارتدعوا وازدجروا فليسوا يدركوننا[١] ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره إيَّاي[٢] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيدلني على طريق النجاة[٣] .

٦٣. قوله : ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ ؛ أي فضرب فانفلق[٤] . قال مقاتل : فانشق الماء اثني عشر طريقاً يابساً ، كل طريق طوله : فرسخان[٥] ، وقام الماء على يمين الطريق ، وعن يساره كالجبل العظيم ، فذلك قوله : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٦] . قال الزَّجَّاج : أي كل جزء تفرَّق منه[٧] .

وقال المفسرون : كل قطعة من الماء[٨] ، وكل طائفة من البحر ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ كالجبل العظيم[٩] . وجمعه : أطواد ، ومنه قول الأسود :

ماءُ الفُراتِ يجيءُ منْ أطوادِ[١٠]

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٢ بنصه .

(٢) تفسير الطوسي ٨/ ٢٨ .

(٣) تنوير المقباس :٣٠٧ بمعناه ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٠ب ، والطوسي ٨/ ٢٨ .

(٤) تفسير الطوسي ٨/ ٢٨ .

(٥) الفرسخ : يطلق على معانٍ متعددة ، منها : الوقت الطويل ، كقول : انتظرتك فرسخاً من النهار ، يعني : طويلاً . ويقاس بالفرسخ الطول ، وهو يقدَّر بثلاثة أميال . تهذيب اللغة (فرسخ) ٧/ ٦٦٥ ، المعجم الوسيط ٢/ ٦٨١ .

(٦) وتفسير مقاتل ٥٠ ب ، وفيه : طوله فرسخان ، وعرضه فرسخان .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٢ .

(٨) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٠ب .

(٩) ذكره البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما . الفتح ٨/ ٤٩٦ ، ووصله ابن جرير ١٩/ ٨٠ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٣٧ من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٧ .

(١٠) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٦ ، ولم ينسبه ، ونسبه الطوسي ٨/ ٢٨ إلى الأسود بن يعفر النهشلي ، وقد ذكراه كاملاً ، وصدره :

حَلُّوا بأنقرةَ بجيشٍ عليهم

وفي حاشية أبي عبيدة : للأسود بن يعفر ، ديوانه في ملحق ديوان الأعشى ٢٩٦ ، =

٦٤. قوله تعالى : ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : قرَّبنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم[١] ، وقال مقاتل : قرَّبنا فرعون وجنوده[٢] في مسلك بني إسرائيل[٣] .

وقال أبو إسحاق : أي قرَّبنا الآخرين من الغرق وهم أصحاب فرعون[٤] .

وقال أبو عبيدة : ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ : جمعنا ، قال : ومن ذلك سُمِّيت مزدلفة جمعاً[٥] . وكلا القولين حسن ؛ لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض ، وأصل الزلفى في كلام العرب : القربى[٦] . وقيل : قرَّبناهم إلى المنية لمجيء وقت هلاكهم[٧] .

قال الشاعر :

وكلُّ يومٍ مضَى أوْ ليلةٍ سلفتْ فيها النفوسُ إلى الآجالِ تزدلفُ[٨]

= ومعجم البلدان ١/ ٣٩١ . وذكره ابن جرير ١٩/ ٨١ من قول الأسود بن يعفر ، وصدره مخالف لما عند أبي عبيدة :

حلوا بأنقرةَ يسيلٍ عليهم

وفي الحاشية : أنقرة ، موضع بظهر الكوفة ، وقيل : موضع بالحيرة ، وأنقرة هذه غير أنقرة التي في بلاد الروم (الأناضول) ، وهي الآن قاعدة دولة الترك .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٤ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٨١ عن ابن عباس وقتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٧٤ عن السدِّي ، وقتادة .

(٢) في نسخة (ب) : (وقومه) .

(٣) تفسير مقاتل ٥١أ بمعناه .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٣ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٧ ، ثم قال : وقال بعضهم : وأهلكنا . وصدَّر ابن جرير ١٩/ ٨٢ قول أبي عبيدة بقوله : «وزعم بعضهم» ، ولم يسمِّه .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٣ ، من قوله : وكلا القولين . وكلمة : أزلفنا مأخوذة من التقريب ؛ إمَّا إلى نجاء ، وإمَّا إلى بلاء . الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٢٦٤ .

(٧) تفسير الطوسي ٨/ ٢٩ بنصه .

(٨) أنشده الماوردي ٤/ ١٧٥ ، والطوسي ٨/ ٢٩ ، ولم ينسباه .

وقال ابن مسلم : يقال : أزلفك الله ؛ أي قرَّبك ، وأزلفني كذا عند فلان ؛ أي قرَّبني منه . والزُّلَف : المنازل والمَراقي ؛ لأنها تُدْني المسافر والراقي إلى حيث يقصده ، ومنه قوله : ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء :٩٠] ؛ أي أدنيت(١) .

وقال الحسن في قوله : ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ أهلكنا(٢) .

وهو معنى وليس بتفسير ؛ وذلك أنه أدنى من الهلاك ، فهو إهلاك في المعنى (وثمَّ) إشارة إلى المكان ، وذكرنا معناه عند قوله : ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة :١١٥] .

٦٧. قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ . قال مقاتل : إن في هلاك فرعون وقومه عِبرة لمن بعدهم(٣) ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول : لم يكن أكثر أهل مصر مصدِّقين بتوحيد الله ، ولم يكن آمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون ، وحزقيل المؤمن ، ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف(٤) .

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٧ .

(٢) ذكره عنه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٧ .
فحاصل الأقوال في معنى : ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ ثلاثة :
١- أهلكنا . ٢- جمعنا . ٣- قدمنا وقربنا .
قال ابن قتيبة : وكل هذه التأويلات متقاربة ، يرجع بعضها إلى بعض . غريب القرآن ٣١٨ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٧٦ عن محمد بن إسحاق : وكان يقال : لو لم يخرجه الله تعالى ببدنه حين أغرقه لشك فيه بعض الناس .

(٤) تفسير مقاتل ٥١أ ، وفيه : «وحزقيل المؤمن ، ومنه الماشطة» .
وفي الوسيط ٣/ ٣٥٥ : «خربيل المؤمن ، ومريم بنت موشا» . وعند البغوي ٦/ ١١٦ : «حزبيل المؤمن ، ومريم بنت ناقوسا» . وزاد ابن الجوزي ٦/ ١٢٧ : وفنَّة الماشطة ، ونسبه إلى قتادة ، ولم أرَ من ذكره غيره .
وفي تفسير مجاهد ٢/ ٤٦١ ، وابن جرير ١٩/ ٧٨ عنه رواية مطولة عن أخذ نبي الله موسى لعظام يوسف ، وليس فيها تسمية المرأة ، بل فيها وصفها بأنها امرأة عجوز بيتها على قبر يوسف ، وأن موسى جعل عظام يوسف في كسائه ، ثم حمل العجوز على كسائه ؛ لأن بني إسرائيل قالوا لموسى : إن يوسف =

٦٨. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه حين انتقم منهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين حين أنجاهم من العذاب[١].

٦٩. قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾. قال ابن عباس: حدِّث قومك بخبر إبراهيم[٢].

وقال مقاتل: واتلُ على أهل مكة حديث إبراهيم[٣].

= أخبرنا أنا سنُنجي من فرعون، وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا.

وقصة أخذ نبي الله موسى ـعليه السلامـ لعظام يوسف أخرجها الحاكم ٢/ ٤٠٤، وأبو يعلي الموصلي في مسنده ١٣/ ٢٣٦، رقم ٧٢٥٤ عن أبي موسى ـرضي الله عنهـ مرفوعاً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٥٩، رقم ٣١٣.

وقد ذكر هذا الحديث ابن كثير ٦/ ١٤٢ من طريق ابن أبي حاتم فقط، ثم قال: وهذا حديث غريب جداً، والأقرب أنه موقوف، والله أعلم.

وكون امرأة فرعون اسمها آسية ثابت من حديث ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران». أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٤٠٩، رقم ٢٦٦٨، م/ الرسالة، وحكم عليه محققو المسند بالصحة، وأخرجه الحاكم ٣/ ١٧٤، كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٥٤، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٣، رقم ١٥٠٨.

(١) تفسير مقاتل ٥١أ بنصه، وتنوير المقباس: ٣٠٧ بمعناه.

(٢) الوسيط ٣/ ٣٥٥ غير منسوب.

قال الرازي ٢٤/ ١٤١: «اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة شدة حزن النبي ﷺ بسبب كفر قومه، ثم إنه ذكر قصة موسى ـعليه السلامـ ليعرف محمد أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى، ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم ـعليه السلامـ ليعرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم ـعليه السلامـ بهذا السبب كان أشد من حزنه؛ لأن من عظيم المحنة على إبراهيم ـعليه السلامـ أن يرى أباه وقومه في النار، وهو لا يتمكن من إنقاذهم».

(٣) تفسير مقاتل ٥١أ.

وقال الكلبي : يقول أخبرهم بخبر إبراهيم كيف قال لقومه[١] ؛ يعني قوله :

٧٠-٧١ . ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ . قال مقاتل : وكانت أصناماً من ذهب وفضة وحديد ونحاس وخشب[٢] ، ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ فنقيم عليها عابدين مقيمين على عبادتها لا نعدل بها شيئاً ، قاله ابن عباس ومقاتل[٣] .

٧٢. ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ . قال أبو علي وغيره من النحويين : هل يسمعون دعاءكم ، فحذف المضاف[٤] ؛ لأن سمعت إذا عُدِّي إلى زيد لم يكن له من مفعول مما سمع زيد ، كقولك : سمعت زيداً يقول ذلك ، أو يشتم عَمراً ، ونحو ذلك من المفعولات التي تُسمع ، وهذا كقوله : ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر :١٤][٥] .

قال ابن عباس : هل يجيبونكم أو يسمعون دعاءكم[٦] .

---

(١) تنوير المقباس ٣٠٧ بمعناه .

(٢) تفسير مقاتل ٥١أ .

(٣) تفسير مقاتل ٥١أ ، وتنوير المقباس :٣٠٧ ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٥ غير منسوب ، ونحوه في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٣ ، أخرج ابن جرير ١٩/ ٨٣ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ ، قال : الصلاة لأصنامهم . وذكر الثعلبي ٨/ ١١١أ عمَّن لم يسمِّه من أهل العلم : إنما قالوا : ﴿فَنَظَلُّ﴾ ؛ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار من دون الليل .

(٤) المسائل الحلبيات ٨٣ ، والإيضاح العضدي ، كلاهما لأبي علي الفارسي ١/ ١٩٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٧ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١١أ .

(٥) قال ابن جرير ١٩/ ٨٤ : قال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية : الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن ؛ لأن العرب تقول : سمعت زيداً متكلماً ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي ، إنما يقع على كلامهم ، ثم يقولون : سمعت زيداً ؛ أي سمعت كلامه .

(٦) تنوير المقباس ٣٠٧ .

وقال مقاتل : هل يجيبونكم إذ تدعوهم[١] . وتفسير السمع بالإجابة معنى ؛ لأن من سمع أجاب . ومن هذا قيل : سمع الله لمن حمده ؛ أي أجاب[٢] . وإذا فسَّرنا السمع بالإجابة لم يحتج إلى تقدير المضاف .

٧٣. قوله تعالى : ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : هل يرزقونكم ، أو يكشفون عنكم الضر ، أو يملكون لكم ضرّاً[٣] ؟

وقال الكلبي : هل ينفعونكم إن أطعتموهم ، أو يضرونكم إن عصيتموهم[٤] ؟ ونحو هذا قال مقاتل : هل ينفعونكم في شيء إذا عبدتموهم ، أو يضرونكم بشيء إن لم تعبدوهم[٥] ؟

٧٤. ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ؛ أي كما نفعل يفعلون . وهذا إخبار أنهم قلَّدوا آباءهم في عبادة الأصنام ، وتركوا الحجة والاستدلال ، فلمَّا أقروا على أنفسهم وآبائهم بعبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تضر[٦] ولا تنفع[٧] .

قال لهم إبراهيم متبرئاً منهم :

٧٥-٧٦ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ : يعني الماضين الأولين .

---

(١) تفسير مقاتل ٥١ أ .

(٢) قال ابن الأنباري : وقولهم : «سمع الله لمن حمده ، معناه : أجاب الله من حمده ، والله سامع على كل حال ، وكذلك : سمع الله دعاءك ، معناه : أجاب الله دعاءك» . الزاهر في معاني كلمات الناس :١/ ٥٩ .

(٣) الوسيط ٣/ ٣٥٥ منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) تنوير المقباس ٣٠٧ .

(٥) تفسير مقاتل ٥١أ .

(٦) (ولا تضر) مكررة في نسخة (ج) .

(٧) (لا تنفع ، ولا تضر ، ولا تسمع) في نسخة (ب) .

٧٧. ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ . قال الكلبي : يقول أبرأ منهم[١] ، وقال مقاتل : أنا بريء منهم[٢] . ومعنى عداوة الأصنام له هو ما ذكره الفرَّاء ؛ أي لو عبدتهم كانوا إلى يوم القيامة ضداً وعدواً[٣] ، وكأنه ذهب إلى معنى قوله : ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾[٤] الآية ، [مريم :٨٢] ، وذكر ابن قتيبة هذه الآية في باب المقلوب ، وقال : المعنى : فإني عدو لهم ، فقلب ؛ لأن كل من عاديته عاداك[٥] ، ونحو هذا حكى بعض المتأخرين عن الفرَّاء ، ولم أرَ له ذلك[٦] .

والعدو : اسم يجوز إطلاقه على الجماعة ، كما قال : ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف :٥٠][٧] ، وقوله : ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ [النساء :٩٢] ، وقد مرَّ[٨] ؛ وذلك أنه وضع موضع المصدر فلا يُثنى ، ولا يُجمع ، كما يوضع المصدر موضع الصفة في نحو : رجل عدل ، وتجوز تثنيته وجمعه ؛ لأنه اسم[٩] .

وقوله : ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : قال النحويون : إنه استثناء ليس من الأول ؛ أي لكن رب العالمين أعبده ، ولا أتبرؤ منه . قال : ويجوز أن يكونوا عبدوا مع الله الأصنام ، فقال : إن جميع من عبدتم عدو لي إلا رب

---

(١) تنوير المقباس ٣٠٧ ، وفيه : (تبرأ منهم) .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ب .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١١ب . والشاهد من الآية في آخرها ، وهو قوله تعالى : ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ١٩٣ .

(٦) ذكره عن الفرَّاء الثعلبي ١١١ب ، وتبعه البغوي ٦/ ١١٧ ، وأحال محقق تفسير البغوي في الحاشية إلى معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ ، وليس فيه هذا القول كما قال الواحدي .

(٧) ذكر هذا القول الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٤٣ .

(٨) تفسير هذه الآية من سورة النساء من القسم المفقود من كتاب البسيط .

(٩) تفسير ابن جرير ١٩/ ٨٤ بمعناه .

العالمين ؛ لأنهم سَـوَّوا آلهتهم بالله عز وجل ، فأعلمهم أنه قد تبرأ مما يعبدون إلا الله[١] . وهذا الذي ذكره هو مذهب مقاتل في هذه الآية ، قال : إنهم كانوا يعلمون أن الله ربهم ، وهو الذي خلقهم ، فإقرارهم بالله أنه خلقهم وهو ربهم عبادة منهم له[٢] .

وقال الكلبـي : ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، يقول : إلا أن يكـون فيكم أحدٌ يعبد الله[٣] . واختار الحسـين بن الفضل هذا القول ، وقـال : يعني إلا من عبد رب العالمـين[٤] ، وهذا يتوجه على حذف المضاف ، كأنه قال : إلا عابد رب العالمين ، ويكون الاستثناء أيضاً لا من الأول .

واختار صاحب النظم في قوله : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ القلب ، وقال : لأن الأصنام لا تعادي أحداً ، والمعنى : فإني عدو لهم . ومعنى العداوة : البغض والبراءة وترك الموافقـة ، وأصله : من عَدَوْتُ الـشيء : إذا جاوزتُه وخلَّفتـه . وقال في قوله : ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إنـه على التقديـم والتأخير ؛ على تقديـر : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتـم وآباؤكم الأقدمون إلا رب العالمين فإنهـم عدو لي ، وتكون (إلا) بمعنى (دون) و(سـوى) ؛ أي ما كنتم تعبدون من دون الله ، وسوى الله ، فيكون (دون) و(سوى) نعتاً للاسم الأول[٥] .

وهذا الذي ذكره فيه تعدٍّ واسـتكراه ، ثم استبعد قول الذين قالوا إنه استثناء ليس مـن الأول ؛ بأن قال : يحتمل ذلك على بُعدٍ فيه ؛ لأنه يكون ادَّعى خبراً على الله مـن غير علم ، وهو تمدح وتفريط للنفس ، وهما مكروهان ، يعني أن إبراهيم

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٣ .
(٢) تفسير مقاتل ٥١ ب .
(٣) تنوير المقباس ٣٠٧ .
(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١١ب .
(٥) ذكره عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٣٠ .

إذا قال : الأصنام أعدائي ، لكن الله وليي يكون قد أخبر عن الله بأنه وليه ، ومدح نفسه بولاية الله ؛ لأنه إذا كان الله [هو أيضاً][(١)] وليه ، كان هو أيضاً ولي الله . وهذا لا يقدح في قول النحويين ؛ لأنه لم يُخبر بذلك عن غير علم ؛ فإن النبي يعلم منزلته من الله . والنبوة فوق الولاية ، فإذا عَلِم أنه نبي ، عَلِم أنه ولي ، وأن الله وليه .

وقوله : إنه تمدح ، هذا إنما لا يحسن بعد الأنبياء ، أمَّا الأنبياء فلهم أن يتمدحوا بمنزلتهم ومكانهم من الله تعالى ، كما أن لهم التحدي بالمعجزة ، وقد قال نبينا ﷺ : «أنا سيد ولد آدم»[(٢)] .

وقال : «آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة»[(٣)] .

وقال : « «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي »[(٤)] ، في أشباهٍ لهذا كثيرة لا تُحمل على مذهب التمدح المكروه .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٢ ، كتاب : الفضائل ، رقم ٢٢٧٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مُشفَّع» . وأخرجه باللفظ نفسه أبو داود ٥/ ٥٤ ، كتاب : السُّنة ، رقم ٤٦٧٣ .

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي ٣٥٣ من حديث ابن عباس بلفظ : «وبيدي لواء الحمد تحته آدم ومن دونه ولا فخر» ، وأخرجه من الطريق نفسه أبو يعلى الموصلي ٤/ ٢١٤ ، وضعَّفه محقق مسند أبي يعلى ؛ لضعف علي بن زيد بن جُدعان ، وأخرجه ابن حبان من طريق آخر عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه . الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٨٩ ، وقال محققه : حديث صحيح لغيره . وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٨ ، كتاب : المناقب ، رقم ٣٦١٥ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وهو في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٩٠ ، رقم ٢٨٥٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٢٣/ ٣٤٩ ، رقم ١٥١٥٦ ، وأخرجه أبو يعلى الموصلي ٤/ ١٠٢ ، وأخرجه ابن أبي عاصم ، كتاب السُّنة ٢٧ ، رقم ٥٠ ، وضعَّف الحديث محققو المسند ، وكذا محقق مسند أبي يعلى ؛ لضعف مُجالد بن سعيد ، وحسَّن إسناده الألباني . إراواء الغليل ٦/ ٣٤ ، رقم ١٥٨٩ ؛ لورود الحديث من طرق أخرى ساقها هناك .

قال مقاتل : ثم ذكر إبراهيم نعم رب العالمين ، فقال[١] :

٧٨. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ . قال ابن عباس : يرشدني ، وقال الكلبي : فهو يهدين إلى الدين[٢] ، والمعنى : فهو الذي يهدين إلى الدين والرشد ، لا ما تعبدون من الأصنام . أخبر أن الذي يهدي هو الله الذي خلق[٣] لا غيره ، وجاء هذا لأنهم كانوا يزعمون أن آلهتهم هي التي تهديهم . قال صاحب النظم : وجاءت الفاء دون الواو في (فهو) لأن الفاء تجعل ما بعدها متصلاً بما قبلها على الجواب له .

٧٩. قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ . قال صاحب النظم : دخول ﴿هُوَ﴾ دليل على أنه أعلم أنه لا يُطعم ولا يَسقي غيرُه ، كما تقول في الكلام : زيد هو الذي فعل ؛ أي لم يفعله غيره[٤] .

٨٠. ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ . قال : دخلت الفاء هاهنا كما دخلت في الخلق والهداية ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون : المرض منَّا ومن الزمان ومن الأغذية ، والشفاء من الأطباء ومن الأدوية . فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يَشفي ، وهو الله عز وجل . هذا كلامه[٥] . وكان يجب على ما قال أن يكون : وإذا أمرضني ، وقد قال : ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ فلم يُخبر عن الله -عز وجل- بإمراض ، إلا أن يقال : أراد :

---

(١) تفسير مقاتل ٥١ ب .

(٢) تنوير المقباس ٣٠٩ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) : زيادة (هذا) ، بعد : (خلق) ، والكلام مستقيم من دونها .

(٤) ذكره القرطبي ١٣/ ١١٠ ، ولم ينسبه .

(٥) وقد ذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٥ ، ولم ينسبه .

وإذا أمرضني ، ولكن أخبر عن نفسه على العادة فإنه يقال : مرضت ، ولا يقال : أمرضني الله وإن كان المرض مخلوقاً لله بقضائه وقدره[١] .

٨١. وقوله : ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ ؛ أي في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ للبعث ، قاله ابن عباس والمفسرون[٢] .

قال صاحب النظم : كانوا لا يدفعون الموت ، إلا أنهم يجعلون له سبباً سوى الله ، ويكفرون بالبعث ، فأعلم إبراهيم أنه هو الذي يميت ، ثم يحيي[٣] . ودخلت (ثم) للتراخي الذي بين الموت والحياة[٤] .

٨٢. وقوله : ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ . قال مقاتل : أرجو[٥] ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ . قال مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، والحسن[٦] : هي قوله لسارة : أختي ، وقوله : ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ، وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ، وهي الكذبات الثلاث[٧] .

---

(١) قال السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٧٥ : أضاف المرض إلى نفسه ؛ لأن المرض كسب يده ، كقوله عز وجل : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى :٣٠] ، وفيه كفارة . وجعل البغوي ٦/ ١١٨ إضافة المرض إلى نفسه استعمالاً لحسن الأدب . وهذا أَوْلى ، والله أعلم .

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/ ٨٥ .

(٣) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٥ منسوباً إلى صاحب النظم .

(٤) وقد أحسن الواحدي صنعاً في إعراضه عن ذكر الأقوال الغريبة والشاذة التي ذكرها الثعلبي ٨/ ١١١ب عن بعض أهل المعرفة ، وإن كان الأحسن أن يشير إلى نقده لتلك الأقوال ، كما فعل القرطبي ١٣/ ١١١ وغيره من أهل العلم .

(٥) تفسير مقاتل ٥١ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٩ .

(٦) (الحسن) غير موجودة في نسخة (ب) .

(٧) تنوير المقباس ٣٠٩ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٦٢ ، وتفسير مقاتل ٥١ب . وأخرجه بسنده ابن جرير ١٩/ ٨٥ ، عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٠ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً . ولفظه عند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُن فِي ذَاتِ الله عز وجل ؛ قَوْلُهُ : ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ . =

وزاد الكلبي والحسن قوله للكواكب : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[١] .

وقال أبو إسحاق : معنى ﴿خَطِيٓـَٔتِي﴾ أن الأنبياء بشر ، وقد يجوز أن تقع عليهم الخطيئة إلا أنهم لا تكون منهم الكبيرة ؛ لأنهم معصومون[٢] .

وقال أهل المعاني في قوله : (أطمع) هذا تلطف من إبراهيم في حسن الاستدعاء ، وخضوع لله عز وجل[٣] .

قوله : ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ : يريد يوم الجزاء ، قاله ابن عباس[٤] .

= وَقَوْلُهُ : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ، وَقَالَ : بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْم وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّار مِنَ الْجَبَابِرَة ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاس فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذه ؟ قَالَ : أُخْتِي ، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ : يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْه الأَرْض مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَك ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْه ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَده فَأُخذَ ، فَقَالَ : ادْعِي الله لِي وَلا أَضُرُّك فَدَعَتِ الله فَأُطْلِقَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ ، فَقَالَ : ادْعِي الله لِي وَلا أَضُرُّك فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَته ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَان ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَان ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَأَوْمَأَ بِيَده : مَهْيَا ، قَالَتْ : رَدَّ الله كَيْدَ الْكَافِرِ أَوِ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِه وَأَخْدَمَ هَاجَرَ» . البخاري ، كتاب : الأنبياء ، رقم ٣٣٥٨ ، الفتح ٦/ ٣٨٨ ، ومسلم ٤/ ١٨٤٠ ، كتاب : الفضائل ، رقم ٢٣٧١ .

(١) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٥ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٧٥ ، ولم ينسبه ، ونسبه الثعلبي ٨/ ١١٢ب ، والبغوي ٦/ ١١٨ إلى الحسن . قال ابن عطية ١١/ ١٢٣ : وقالت فرقة : أراد بالخطيئة اسم الجنس ، قدَّرها في كل أمره من غير تعيين ، واستظهر ابن عطية هذا القول . وهذا مخالف لظاهر الآية ، حيث نسبة الخطأ إلى نفسه ، ومخالف للحديث السابق ، والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون في ما يتعلق بالوحي وتبليغ الرسالة ، ولا ينافي إثبات ذلك عصمة الرسل ؛ فالعصمة ثابتة لهم في تبليغ الوحي ، وأمَّا ما يفعلونه باجتهادهم فهم كغيرهم من البشر يصيبون ، وقد يخطئون فيصحَّح خطؤهم ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ .

(٣) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٥ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٠ عن الأعرج . قال ابن جرير ١٩/ ٨٥ : «يوم الحساب ، يوم المجازاة» .

وقال مقاتل : يعني يوم الحساب[١] . ثم دعا إبراهيم ربه ، فقال :

٨٣. ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ . قال ابن عباس : معرفة بالله وبحدوده وأحكامه[٢] .

وقال مقاتل : يعني الفهم والعلم[٣] .

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ . قال ابن عباس : بأهل الجنة .

وقال عطاء عنه : يريد النبيين قبله[٤] .

٨٤. ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسفيان ، والسدِّي ، ومقاتل ، والكلبي ، والمفسرون : يعني ثناءً حسناً[٥] .
﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ : يعني في الذين يأتون بعدي[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥١ب . ذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٦ هاهنا حديث عَائِشَةَ قَالَتْ : «قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» . أخرجه مسلم ١/ ١٩٦ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢١٤ ، والحاكم ٢/ ٤٣٩ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٢٤ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . والحديث أخرجه مسلم كما سبق .

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٦ ، وتفسير البغوي ٦/ ١١٨ ، وتفسير القرطبي ١٣/ ١١٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨١ عن ابن عباس : الحكم : العلم .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ب ، وتنوير المقباس ٣٠٩ ، وجعل ابن جرير ١٩/ ٨٦ الحكم هنا : النبوة ، وهو قول السدِّي ، أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨١ .

(٤) تفسير مقاتل ٥١ب . وفي تنوير المقباس ٣٠٩ : بآبائي المرسلين في الجنة .

(٥) أخرجه بسنده عن مجاهد ، الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٨١ ، وذكره أبو عبيدة ٢/ ٨٧ ، من دون نسبة ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٨٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨١ ، عن مجاهد ، وقتادة ، وعبدالرحمن بن زيد .

(٦) تفسير مقاتل ٥١ ب ، وتنوير المقباس : ٣١٠ .

قال أبو إسحاق : معناه اجعل لي ثناءً حسناً باقياً إلى آخر الدهر[١] .

قال المفسرون : وأعطاه الله ذلك ، وكل أهل دين يتولونه ويثنون عليه[٢] . وذكرنا أن اللسان قد يُذكر ، والمراد به القول[٣] ، ومنه :

إنِّي أَتَتْنِي لسانٌ . . . . . البيت[٤]

والعرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق[٥] ، كقوله تعالى : ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس :٢] ، وقد مرَّ[٦] .

٨٥. ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ . قال ابن عباس : اجعل مصيري إلى جنة النعيم[٧] ، وقال الكلبي : من الذين ذكروا في قوله :

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ ، قال السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٧٦ : وإنما أراد بالثناء الحسن ليقتدوا به فيكون له مثل أجر من اقتدى به .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ب ، بلفظ : «فكل أهل دين يتولون إبراهيم عليه السلام ، ويثنون عليه» . وذكر هذا هود الهوَّاري ٣/ ٢٣٠ ، وأخرجه بسنده مطولاً ابن جرير ١٩/ ٨٦ عن عكرمة وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨١ عن ابن عباس . قال الجصَّاص ٥/ ٢١٤ : فاليهود تقر بنبوته ، وكذلك النصارى ، وأكثر الأمم . وذكره الثعلبي ٨/ ١١٣أ .

(٣) ذكر ذلك ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٤٦ ، ونقله عنه الثعلبي ٨/ ١١٣أ .

(٤) أنشده كاملاً ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٤٦ ، ولم ينسبه ، وتمامه :

إنِّي أَتَتْنِي لسانٌ لا أُسرُّ بها منْ عَلوَ لا عجبٌ منْهَا ولا سَخَرُ

قال ابن قتيبة : أي أتاني خبرٌ لا أُسَرُّ به . والبيت مطلع قصيدة لأعشى باهلة ، يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي ، وقد ذكرها المبرِّد في الكامل ٣/ ١٤٣١ ، وأنشده الثعلبي ٨/ ١١٧أ ، ونسبه .

(٥) في تهذيب اللغة ٨/ ٣٥٥ : يقال : هذا رجل صِدْق ، معناه : نعم الرجل هو .

(٦) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية ما يتعلق بالقدم ، ومعناه ، والمراد به ، ثم قال : هذا الذي ذكرنا معنى القدم في اللغة ، فأمَّا التفسير فقال ابن عباس : أجراً حسناً بما قدَّموا من أعمالهم . وعلى هذا المعنى أن لهم أجر صدق أو ثوابه ، على تقدير حذف المضاف ، وقال مجاهد والحسن : يعني الأعمال الصالحة . وعلى هذا لا حذف . قال الإمام مالك : لا بأس أن يُحب أن يُثنى عليه صالحاً ، ويُرى في عمل الصالحين ، إذا قصد به وجه الله وهو الثناء الصالح . أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٤٥٨ .

(٧) تنوير المقباس :٣١٠ بمعناه .

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].
والنعيم: نقيض البؤس[١].

٨٦. ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾. قال مقاتل: من المشركين[٢]. وهذا الاستغفار منه لأبيه إنما كان قبل أن يتبرأ منه[٣]، وقد ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ الآية، [التوبة: ١١٤][٤].

٨٧. ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾. قال مقاتل والكلبي: لا تعذبني[٥] ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يوم يبعث الخلق بعد الموت[٦]، ثم فسَّر ذلك اليوم وأبدل منه، فقال:

٨٨. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾؛ [ومفعول النفع محذوف للعلم به، كأنه قيل: لا ينفع مال ولا بنون أحداً][٧].

---

(١) وفي هذه الآية ردٌّ على من قال: لا أسأل جنة ولا ناراً. تفسير القرطبي ١٣/ ١١٤.

(٢) تفسير مقاتل ٥١ ب.

(٣) تفسير البغوي ٦/ ١١٩.

(٤) قال الواحدي: «... وذلك أنه وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه، وأن ينقل الله أباه باستغفاره له من الكفر إلى الإسلام، فلمَّا مات مشركاً ويئس من مراجعته الحق تبرأ منه، وقطع الاستغفار له....».

(٥) تفسير مقاتل ٥١، وتنوير المقباس: ٣١٠.

(٦) تفسير مقاتل ٥١ ب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النبي ﷺ، قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ» أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، رقم ٣٣٥٠، الفتح ٦/ ٣٨٧، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٤٢٢، كتاب التفسير، رقم ١١٣٧٥، قال ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٩٩: الذيخ: ذكر الضباع. يعني أن الله تعالى: قد مسخ آزر ضبعاً، فلمَّا رآه إبراهيم كذلك تبرأ منه.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج).

٨٩. ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ؛ وفي هذا الاستثناء قولان ؛ أحدهما : إنه استثناء من الأول على معنى أن الكافر لا ينفعه ماله وإن تصدق به ، ولا بنوه يغيثونه ، [فيكون قوله : ﴿إِلَّا مَنْ﴾ استثناء ممن لا ينفعه ماله وبنوه ، وهو الكافر .

القول الثاني : إن قوله : ﴿إِلَّا مَنْ﴾ استثناء ليس من الأول على معنى :][(١)] لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك ، وهو سلامة قلبه[(٢)] .

واختلفوا في معنى القلب السليم ، فقال ابن عباس : سليم من الشرك والنفاق ، وهو قول مجاهد ، والكلبي ، ومقاتل ، وقتادة ، والحسن ، وأكثر المفسرين ، قالوا : القلب السليم الذي سلم من الشرك ، والشك ، والنفاق[(٣)] . وإذا كان سليماً من هذه الأشياء كان موقناً مخلصاً . وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن ، وقلب الكافر والمنافق مريض ، كما قال الله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة : ١٠][(٤)] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٢) لم أجده عند من تقدَّم الواحدي ، وذكره من المتأخرين : الزمخشري ٣/ ٣١١ ، والقرطبي ١٣/ ١١٤ ، وأبو حيان ٧/ ٢٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ب ، وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٤ عن قتادة . وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣١٨ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ٨٧ ، وأخرجه عن قتادة ، وابن زيد ، والضحاك ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٣ عن مجاهد ، والحسن ، وعبدالرحمن بن زيد . قال الثعلبي ٨/ ١١٣أ ، بعد ذكر هذا القول : «فأمَّا الذنوب فليس يسلم منها أحد» . ومراده ما دون الشرك . قال ابن القيم : «وقد اختلفت عبارات الناس في معنى السليم ، والأمر الجامع لذلك : أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره» . إغاثة اللهفان ١/ ١٣ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٧أ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٥٦ ، وتفسير البغوي ٦/ ١١٩ ، وفي تنوير المقباس : ٣١٠ : «سليم من بغض أصحاب النبي ﷺ» .

٩٠. قوله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . قال ابن عباس : قرَّبْتُ الجنة لأوليائي[١] .

قال أبو إسحاق : تأويله أنه قرَّب دخولهم إيَّاها ونظرهم إليها[٢] .

٩١. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ ؛ أي أظهرت[٣] . قال مقاتل : كشف الغطاء عن الجحيم[٤] (للغاوين) : للكافرين[٥] ، وهم الضالون عن الهدى[٦] .

والغاوي : الضال[٧] . ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ واللوم[٨] .

٩٢-٩٣ . ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ : هل يمنعونكم من العذاب ؟ ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ يمتنعون منه[٩] .

ثم يؤمر بهم فيُلقون في النار ، فذلك قوله :

٩٤. ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ . قال ابن عباس ، والسدِّي ، والكلبي : جمعوا[١٠] ،

---

(١) تنوير المقباس : ٣١٠ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٥٦ ، أخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٤ عن الضحاك : قُربت من أهلها ، ثم قال : وروي عن السدِّي ، وقتادة ، والربيع بن خيثم نحو ذلك .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ .

(٣) تنوير المقباس : ٣١٠ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣١ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ٨٧ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٣أ .

(٤) تفسير مقاتل ٥١ب .

(٥) تنوير المقباس : ٣١٠ ، قال ابن عطية ١١/ ١٢٧ : هم المشركون بدلالة أنهم خوطبوا في أمر الأصنام ، والقول لهم : ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .

(٦) (عن الهدى) ، في نسخة (ج) .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ .

(٨) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٦ ، ولم ينسبه .

(٩) تفسير مقاتل ٥١ ، وتنوير المقباس ٣١٠ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣١ .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٥ عن ابن عباس والسدِّي .

وقال مجاهد : دهوروا[١] ، وقال مقاتل : قذفوا[٢] .

قال أبو إسحاق : معنى : (كبكبوا) طُرح بعضهم على بعض[٣] .

وحقيقة ذلك في اللغة : تكرير الانكباب كأنه إذا أُلقي يَنْكَبُّ مرة بعد مرة حتى يستقرَّ فيها[٤] .

وقال أبو عبيدة : نكسوا فيها ، وهو من قولهم : كبَّه الله لوجهه[٥] .

قال ابن قتيبة : (كبكبوا) أُلقوا على رؤوسهم ، وأصل الحرف : كُبِّبُوا ، فأبدل من الباء الوسطى كافاً استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات ، [كما قالوا : كمكموا ، من الكُمَّة ، وهي : القَلَنْسوة ، والأصل : كُمِّموا][٦] . كما قالوا : ريح صرصر[٧] ، ورقرقت العين بمعنى دمعت ، وله نظائر[٨] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٥ عن مجاهد بلفظ : «قد هووا فيها» ، وما في المطبوع مخالف لما في المخطوط ٢٢٧أ ، ولفظه : «فدمروا فدهوروا» . وبلفظ : «دهوروا» ، ذكره الثعلبي ٨/ ١١٣أ ، والبغوي ٦/ ١١٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢ أ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣١ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٣ب .

(٣) وقد اقتصر في الوجيز ٢/ ٧٩٢ ، على قول أبي إسحاق ، ولم ينسبه ، وذكر هذه الأقوال بهذا الترتيب البغوي ٦/ ١١٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ ، وذكره الأزهري (كبب) ٩/ ٤٦١ ، ولم ينسبه .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٧ بلفظ : «أي طرح بعضهم على بعض جماعة جماعة» .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٨ ، وما بين المعقوفين زيادة نقلتها من الغريب ليستقيم بها الكلام ، وهي غير موجودة في النسخ الثلاث .

(٧) قال تعالى : ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة :٦] .

(٨) لم يظهر لي الارتباط بين هذا ومعنى : كبكبوا ، فلعلها زيادة تتابع عليها النساخ ؛ إذ لم أجدها في غريب ابن قتيبة ، ولا غيره ، والله أعلم .

ومن قال في تفسير : (كبكبوا) جمعوا[١] ، أراد : جمعوا بطرح بعضهم على بعض في النار . وهذا الفعل للمعبودين من دون الله ، أخبر الله تعالى أنهم يُطرحون في النار مع عابديهم ، فقال : ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : هم وما يعبدون من دون الله[٢] .

وقال الكلبي : العابد والمعبود[٣] .

وقال السدِّي : جمعوا فيها الآلهة والمشركون[٤] ، وعلى هذا : ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم عبدة الأصنام .

وقال قوم : ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ يعني الكفار ، ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ كفرة الجن ، وهو قول الكلبي[٥] .

وقال قتادة ومقاتل : يعني الشياطين[٦] . والقول هو الأول ؛ لأن الشياطين ذكروا في ما بعد ، وهو قوله :

٩٥. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ : يعني ذرية إبليس كلهم[٧] .

---

(١) تنوير المقباس : ٣١٠ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٥ بلفظ : «﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ المشركون» .

(٣) في تنوير المقباس : ٣١٠ : «كفار الجن وآلهتهم» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٥ .

(٥) تنوير المقباس : ٣١٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٣ب .

(٦) تفسير مقاتل ٥٢أ ، وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٤ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٦ عن قتادة ، وذكره عنهما الثعلبي ٨/ ١١٣ب .

(٧) تفسير مقاتل ٥٢أ ، وتنوير المقباس : ٣١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٦ عن السدِّي . وفي رواية أخرى عنه ، قال : هم الشياطين . قال النحاس : «الذين دعوهم إلى عبادة الأصنام ، وساعدوا إبليس على ما يريد فهم جنوده» . إعراب القرآن ٣/ ١٨٤ ، وهذا قول حسن ، والله أعلم .

٩٦. ﴿قَالُوا﴾ : يعني الكفرة والغاوون ، ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع الشياطين والمعبودين[١] .

٩٧-٩٨ . ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : والله ما كنَّا إلا في ضلال[٢] حيث سوَّيناكم بالله فأعظمناكم ، وعبدناكم ، وعدلناكم به[٣] .

٩٩. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ . قال مقاتل : وما أضلنا عن الهدى إلا الشياطين[٤] ، وهو قول ابن عباس .

وقال الكلبي : إلا أوَّلونا الذين اقتدينا بهم[٥] .

١٠٠ . ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ : من يشفع لنا من الملائكة والنبيين[٦] . قال ابن عباس : يريد النبي ﷺ[٧] والمؤمنين حين يشفعون للموحدين .

---

(١) قال الهوَّاري ٣/ ٢٣١ : «وخصومتهم تبرؤ بعضهم من بعض ، ولعن بعضهم بعضاً» .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) . واستدل ابن قتيبة بهذه الآية على أن : إن الخفيفة تكون بمعنى : لقد . تأويل مشكل القرآن ٥٥٢ .

(٣) (به) في نسخة (أ) و(ب) . معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٤ ، وفيه : (كما يعبدالله) ، بدل : (وعدلناكم به) . قال ابن القيم : «ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق ، والإماتة والإحياء ، والملك والقدرة ، وإنما سووهم به في الحب ، والتألـه والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم ، فكيف يسوى التراب برب الأرباب ؟ وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب» . الجواب الكافي ١٩٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢ أ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، وتنوير المقباس : ٣١٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٣ب . قال ابن جرير ١٩/ ٨٩ : «يعني بالمجرمين : إبليس ، وابن آدم الذي سن القتل» ، وأخرجه بسنده عن عكرمة .

(٦) تفسير مقاتل ٥٢أ ، وجعل ابن جريج الشافعين من الملائكة فقط ، أخرجه عنه ابن جرير ١٩/ ٨٩ .

(٧) في نسخة (أ) و(ب) : (قال الكلبي) ، والظاهر أنها زائدة .

١٠١. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : ولا قريب من المؤمنين ، وقال مقاتل : يعني : القريب الشفيق[١] ، وقال الكلبي : ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ ذي قرابة يهمه أمرنا[٢] . والحميم : القريب الذي توده ويودك[٣] .

قال ابن عباس : إن المؤمن يشفع يوم القيامة للمؤمنين المذنبين[٤] . وروى جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرجل ليقول في الجنة : رب[٥] ما فعل صديقي فلان ، وصديقه في الجحيم ، فيقول الله تعالى : أخرجوا له صديقه إلى الجنة ، فيقول من بقي : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»[٦] .

ومعنى[٧] الحميم في اللغة : القريب ، من قولهم : أَحَمَّ الأمر ، وأَحَمَّ إذا قَرُب ، ودنا[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٢) تنوير المقباس : ٣١٠ .

(٣) تهذيب اللغة (حم) ٤/ ١٤ بنصه .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٧ .

(٥) (رب) في نسخة (أ) و(ج) .

(٦) أخرجه بسنده الثعلبي ٨/ ١١٣ب من طريق الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا من سمع أبا الزبير يقول : أشهد لسمعت جابر بن عبدالله . وعن الثعلبي أخرجه الواحدي في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، وكذا البغوي ٦/ ١٢٠ . وفي حاشية الوسيط : في سنده انقطاع بين الوليد بن مسلم وأبي الزبير . وفي حاشية البغوي : لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وغيرها ، وساقه المصنف بإسناده من طريق الثعلبي ، وفيه جهالة من سمع أبا الزبير .
في تفسير مقاتل : استكثروا من صداقة المؤمنين ؛ فإن المؤمنين يشفعون يوم القيامة .

(٧) (ومعنى) في نسخة (أ) و(ج) .

(٨) تهذيب اللغة (حمم) ٤/ ١٤ من قول الكسائي وكذا في لسان العرب ١٢/ ١٥٢ ، وفيه : «ويروى بالجيم» .

وقال المبرِّد : حَميم الرجل من يخصه ، وهو مأخوذ من : الحَامَّة ، يقال : دُعِي فلانٌ في الحامَّة ، لا في العامَّة[١] . ثم قالوا :

١٠٢ . ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ؛ أي رجعة إلى الدنيا[٢] ، ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدِّقين بالتوحيد[٣] ؛ أي حتى تحل لنا الشفاعة كما حلت للمؤمنين[٤] .

١٠٣ . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني في ما أخبر من قصة إبراهيم ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة لمن بعدهم .

والباقي [١٠٣ ، ١٠٤] مُفسَّر في ما مضى من السورة إلى قوله :

١٠٥ . ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : دخلت التاء و﴿قَوْمُ﴾ مذكرون ؛ لأن المعنى : كذبت جماعة قوم نوح[٥] .

وقوله : ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ . قال ابن عباس ، ومقاتل ، والمفسرون : يعني نوحاً وحده[٦] . وعلى هذا إنما جاز الجمع ؛ لأن من كذَّب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذَّب الجماعة وخالفها ؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل[٧] . وهذا

---

(١) في تهذيب اللغة (حمم) ٤/ ١٤ : الحامَّة : خاصة الرجل من أهله وولده وذي قرابته . ولم ينسبه إلى المبرِّد ، ولم أجده في فهارس المقتضب ، ولا فهارس الكامل . قال في الكشاف ٣/ ١١٩ : «والحميم من الاحتمام ، وهو الاهتمام ، وهو الذي يهمه ما يهمك ، أو من الحامة ، بمعنى الخاصة ، وهو : الصديق الخاص» .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢أ ، وتنوير المقباس : ٣١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٧ عن ابن عباس .

(٣) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٧ عن ابن عباس .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ ، وقال النحاس : «على تأنيث الجماعة» . إعراب القرآن ٣/ ١٨٥ ، وهذا الوجه أحسن مما قاله البقاعي : «إثبات التاء ، اختياراً للتأنيث ، وإن كان تذكير القوم أشهر ، للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال» . نظم الدرر ١٤/ ٦١ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ بنصه .

معنى قول الحسن ، لَمَّا سُئل عن هذا وأمثاله ، فقال : إن الآخِر جاء بما جاء به الأول ، فإذا كذَّبوا واحداً فقد كذَّبوهم أجمعين[١] ، وقال الكلبي : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ، وما أخبرهم من مجيء المرسلين بعده[٢] . قال الزَّجَّاج : وجائز أن يكونوا كذبوا جميع الرسل[٣] .

١٠٦ . ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ . قال ابن عباس : ابن أبيهم ، يعني أن الأخوة كانت من جهة النسب ، لا من جهة الدين ، وهو قول جميع المفسرين : أخوهم في النسب ، يعني أنه منهم ، وليس بأخيهم في الدين[٤] .

قال الزَّجَّاج : كل رسول يأتي بلسان قومه ، ليوضح لهم الحجة ، ويكون أبين لهم[٥] ، كقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ الآية ، [إبراهيم :٤] . وقوله : ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ مُفسَّر[٦] في هذه السورة .

١٠٧ . ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ . [قال ابن عباس : ائتمني الله على رسالته ، وبعثني إليكم[٧] ، وهو قول مقاتل :][٨] أمين على الرسالة في ما بينكم وبين ربكم[٩] .

وقال الكلبي : كان فيهم أميناً قبل ذلك[١٠] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١١٣أ ، والبغوي ٦/ ١٢٠ .
(٢) تنوير المقباس :٣١٠ .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ .
(٤) تفسير مقاتل ٥٢أ ، وتنوير المقباس ٣١٠ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣٢ .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ .
(٦) في نسخة (أ) : (تفسر) ، وفي نسخة (ب) : (تفسر في هذه الآية السورة) .
(٧) تنوير المقباس ٣١٠ بمعناه .
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .
(٩) تفسير مقاتل ٥٢أ .
(١٠) تنوير المقباس ٣١٠ .

١٠٨. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بطاعته وعبادته، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في ما آمركم به من الإيمان والتوحيد.

١٠٩. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. قال مقاتل: وذلك أنهم قالوا للأنبياء: إنكم تريدون أن تتملكوا علينا في أموالنا! فردَّت عليهم الأنبياء، فقالوا: وما نسألكم عليه من أجر؛ يعني: على الإيمان جُعلا.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما جزائي وثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

١١١. وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾. قال مقاتل: أنصدق بقولك[2] ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ الواو هاهنا للحال، ومعها: قد، مضمرة؛ لأن واو الحال قَلَّ ما تصحب الأفعال، ولهذا قرأ من قرأ: (وأتْباعُك). قال الفرَّاء: وهو وجه حسن[3].

وقال الزَّجَّاج: هي في العربية جيدة؛ لأن واو الحال تصحب الأسماء أكثر في العربية؛ لأنك تقول: جئتك وأصحابك الزيدون، ويجوز: وصحبك، والأكثر:

---

(١) تفسير مقاتل ٥٢أ.

(٢) تفسير مقاتل ٥٢أ.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١، ولفظه: «وذكر أن بعض القُرَّاء قرأ: وأتباعك الأرذلون. ولكني لم أجده عن القُرَّاء المعروفين، وهو وجه حسن». وهي قراءة يعقوب الحضرمي (وأتْباعُك) بقطع الهمزة، وإسكان التاء مخففة، وضم العين وألف قبلها على الجمع. المبسوط في القراءات العشر ٢٧٥، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٥ ونسب ابن جني هذه القراءة إلى ابن مسعود والضحاك وطلحة وابن السميفع ويعقوب وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري. المحتسب ٢/ ١٣١، قال الأزهري: «(وأتباعك) جمع تابع، كما يقال: صاحب، وأصحاب، وشاهد وأشهاد، ومعناه: وأشياعك الأرذلون». معاني القراءات ٢٢٧.

جئتك وقد صحبك الزيدون[١] . ومعنى ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ كمعنى الأراذل ، وقد مرَّ[٢] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد المساكين بأنهم شرار الناس ليس لهم مال ولا عز[٣] .

وقال مقاتل والكلبي : يعنون السفلة[٤] . وكان آمن بنوح بنوه ، ونساؤه ، وأُناس من ضعفاء قومه[٥] .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال : الحاكة[٦] ، وهو قول عكرمة ، وزاد : الأساكفة[٧] .

قال أبو إسحاق : والصناعات لا تضر في باب الديانات[٨] .

وروي عن ابن عباس في تفسير الأرذلين : الغلفة[٩] . والصحيح أنهم أرادوا بالأرذلين الذين مكاسبهم دنية ؛ لقوله : ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ .

(٢) في قوله تعالى : ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود :٢٧] .

(٣) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، من قول عطاء ، وزاد المسير ٦/ ١٣٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢أ ، وتنوير المقباس :٣١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٨ عن قتادة .

(٥) ومراده ببنيه : الأكثر ؛ لقوله تعالى : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود :٤٢] .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٤أ ، وزاد المسير ٦/ ١٣٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٨ عن مجاهد . والمراد بهم : ناسجو الثياب ؛ مأخوذ من الحَوك ، وهو : النسج . تهذيب اللغة (حاك) ٥/ ١٢٨ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٤أ ، وذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٧ أن الضحاك وعكرمة قالا : يعنون الحاكة ، والأساكفة . الإسكافي : الصانع ، وقيل : كل صانع غيرِ من يعمل الخفاف . تهذيب اللغة (سكف) ١٠/ ٧٧ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، ونقله عن الزَّجَّاج الأزهري ١٤/ ٤١٩ .

(٩) هكذا كتبت في النسخ الثلاث : الغلفة ، ومعناها هنا غير مناسب ، ولعل الصواب : (الغفلة : جمع غافل وهو من لا فطنة له) . تهذيب اللغة (غفل) ٨/ ١٣٦ .

لَمَّا نسبوا أتباع نوح إلى دناءة المكاسب أجابهم نوح بأن قال :

١١٢. ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ : يعني ما كنت أعلم أعمالهم ، وصنائعهم ، ولم[١] أُكلَّف ذلك ، إنما كُلِّفت أن أدعوهم[٢] .

وقال مقاتل : يقول : لم أكن أعلم أن الله يهديهم للإيمان من بينكم ويدعكم[٣] . وهذا القول غير الأول ، ومعناه أن نوحاً قال لهم : لا أدري ، إيش عملوا حتى استحقوا الهداية من بينكم دونكم ، كأنه يقول : لا يضرهم دناءة مكاسبهم إذ هداهم الله . والقول هو الأول ؛ لقوله :

١١٣. ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ ؛ أي ما حسابهم في ما يعملون من صنائعهم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ وليس عليَّ من حسابهم شيء ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لو تعلمون ذلك[٤] .

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف على معنى : ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ أن حسابهم على ربهم لما عبتموهم بصنائعهم . ونظير قوله : إن حسابهم إلا على ربهم ، قوله في سورة هود في قصة نوح ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [هود :٢٩] .

١١٤. وقوله : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ . قال مقاتل : يعني وما أنا بالذي لا أقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأرذلون عندكم[٥] .

---

(١) في نسخة (ب) : (ولا) .

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٤) تنوير المقباس :٣١١ ، واستدل ابن قتيبة بهذه الآية على أن الحساب يكون بمعنى الجزاء . تأويل مشكل القرآن ٥١٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٢ب .

قال الكلبي[١] : قال الأشراف لنوح : اطردهم يا نوح ونؤمن لك ، فقال : ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

١١٥ . ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ . قال ابن عباس : أنذركم النار ، وأُبيِّن لكم ما يُقرِّبكم من الله . قال مقاتل : ما أنا إلا رسول بين[٢] .

١١٦ . ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ [عما تقول وتسكت][٣] ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ . قال ابن عباس ، ومقاتل ، والكلبي : من المقتولين[٤] ، وقال الضحاك : من المشتومين[٥] ، وقال قتادة : المضروبين بالحجارة[٦] . وذكرنا معاني الرجم في ما تقدَّم[٧] .

١١٧-١١٨ . ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : فاقضِ بيني وبينهم قضاء[٨] .

---

(١) (قال الكلبي) ، في نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢ب .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢ب ، وتنوير المقباس :٣١١ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٤أ ، ونسبه الماوردي ٤/ ١٧٩ ، إلى محمد بن الحسن .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٤أ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٥٨ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢١ ، ونسبه الماوردي ٤/ ١٧٩ إلى السدِّي .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٤أ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٧٩ .

(٧) في سورة هود الآية رقم ٩١ .

(٨) تنوير المقباس :٣١١ ، وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٤ عن قتادة ، وأخرجه عنه كذلك ابن جرير ١٩/ ٩٠ ، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٩٠ عن قتادة ، والسدِّي ، وعبدالرحمن بن زيد . وفي مجاز القرآن ٢/ ٨٧ : «أي احكم بيني وبينهم حُكماً» . وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣٣ ، وفيه : وإذا قضى الله بين النبي وقومه هلكوا . «قال ابن قتيبة : «ومنه قيل للقاضي : الفتاح» . غريب القرآن ٣١٨» .

قال مقاتل : يعني بالعذاب[١] . ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من ذلك العذاب[٢] .

١١٩ . ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ : مضى الكلام في تفسير الفلك عند قوله : ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى﴾ [البقرة :١٦٤] .

قال أبو إسحاق في هذه السورة : ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ، واحدها : فَلَك ، وجمعها : فُلْك ، وزعم سيبويه أنها بمنزلة أَسَد ، وأُسْد ، قياس فَعْل ، ألا ترى أنك تقول : قُفْل وأقفال ، وجَمَل وأجمال ، وكذلك : أَسَد وأُسْد وآسَاد ، وفَلَك ، وأفلاك وفُلْك في الجمع[٣] .

قال أبو علي الفارسي في ما أصلح عليه : لم نعلم أحداً قال في واحد الفُلْك : فَلَك ، ولكن الواحد : فُلْك ، وكُسِّر على فُلْك[٤] ، وقول سيبويه : إنه بمنزلة أَسَد وأُسْد ، يريد : فُعَلاً كسر على فُعْل ، كما كسر فَعْل عليها[٥] ، واجتمعا في التكسير على فعل كما اجتمعا في التكسير على أفعال ؛ لأنهما يتعاقبان كثيراً على الشيء الواحد ، نحو : البُخل والبخال[٦] ، والبَخل ، والسُّقم والسَّقم ، والعُجم والعَجم ، والعُرب والعَرب ، فلمَّا كانا على هذا جاز اجتماعهما على هذا التكسير .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٢ ب .

(٢) تنوير المقباس ٣١١ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ ، وتبعه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٨٦ ، فقال : «زعم سيبويه» .

(٤) قال أبو عبيدة ٢/ ٨٨ : «والفلك يقع لفظه على الواحد ، والجميع من السفن سواء» .

(٥) في كتاب أبي علي : (عليه) ، بدل : (عليها) .

(٦) (البخال) ، غير موجودة في كتاب أبي علي .

ونظير هذا في أن لفظ التكسير جاء على لفظ الواحد قبل أن يُكَسَّر ، قولهم : ناقة هَجَّان ، وإبل هَجَّان[١] ، ودِرعٌ دِلاص ، وأدرعٌ دِلاص ، وهجان في الجمع[٢] على حد ظِرافٍ ، وشِرَاقٍ ، وليس على حد سنان وضناك[٣] .

وأمَّا ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ فقال الليث : الشحن مَلؤُك السفينةَ وإتمامُك جَهازَها كلَّه[٤] . قال ابن عباس : يريد بالمشحون الذي قد شحن وملئ[٥] ، وقال مجاهد : المشحون : المملوء[٦] .

---

(١) في نسخة (أ) : الأولى هيجا بالياء ، والباقي من دونها كما في نسخة : (ب) ، في المواضع الثلاثة ، وفي نسخة (ج) : بالياء ، في الموضعين : الأول والثاني . . . . ، وفي كتاب أبي علي من دون الياء في المواضع كلها .

(٢) هكذا في نسخة (ب) ، وفي نسخة (أ) ، (ج) : (الجميع) ، وفي كتاب أبي علي : «وإنما دلاص ، وهجان ، في الجمع» .

(٣) هاتان الكلمتان غير واضحتين في كتاب أبي علي . الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج ٢/ ٢٢٠أ ، وقد ذكر هذه المسألة المبرِّد في المقتضب ٢/ ٢٠٥ ، وفي الحاشية : درع دلاص : لينة براقة ، والهجان : الإبل البيضاء . قال أبو حيان ٧/ ٣١ : «الفلك واحد وجمع ، غالب استعماله جمعاً» . ويبين معنى : ظراف وشراق ، وسنان وضناك .

(٤) تهذيب اللغة (شحن) ٤/ ١٨٤ بنصه . وفي كتاب العين ٣/ ٩٥ : شحنت السفينة : ملأتها فهي مشحونة .
وجَهازها بالفتح ، وجِهاز بالكسر لغة ليست جيدة . تهذيب اللغة (جهز) ٦/ ٣٦ .

(٥) أخرج ابن جرير ١٩/ ٩٢ بسنده من طريقين عن ابن عباس : «﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ قال : يعني : المُوقَر» ، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم ٨/ ٢٨٩١ ، ولفظه عند الثعلبي ٨/ ١١٤أ : «الموقر ، والمجهز» . وفي سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس : «السفينة الموقرة الممتلئة» . غريب القرآن في شعر العرب ٩٥ . انظر : الإتقان ١٢٥ ، وأخرجه الطستي عن ابن عباس . الدر المنثور ٦/ ٣١١ .

(٦) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٣ ، ولفظه عند ابن جرير ١٩/ ٩٢ : «المفروغ منه المملوء» ، وهو كذلك عند ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٩٢ ، وذكره أبو عبيدة ٢/ ٨٨ ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٨ .

وقال قتادة: المُحَمَّل[١]. وقال مقاتل: المُوقِر من الناس، والطير، والحيوان، كلها من كل صنف ذكر وأنثى[٢]. والفلك هاهنا واحد لا جمع، لذلك قال: ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾، وعلى ما قال الزَّجَّاج: الفُلْك جمع، وهو خطأ له هاهنا[٣]؛ لأن سفينة نوح كانت واحدة[٤].

١٢٠. وقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾. قال مقاتل: بعد أهل السفينة[٥]، وقال غيره: بعد نجاة نوح ومن معه. ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾: من بقي منهم ولم يركب السفينة[٦].

١٢١. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في هلاك قوم نوح بالغرق[٧]. ﴿لَآيَةً﴾: لعبرة لمن بعدهم[٨]. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: أكثر قوم نوح. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدِّقين بتوحيد الله، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا[٩].

١٢٢. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه منهم بالغرق[١٠] ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين إذ أنجاهم من الغرق[١١].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٤، وعنه ابن جرير ١٩/ ٩٢.

(٢) تفسير مقاتل ٥٢ ب. الوقر: الثِّقل يُحمل على ظهر أو رأس. يقال: جاء يحمل وِقْره. ويقال: هذه نخلة موقِرة وموقَرة وموقِر. تهذيب اللغة (وقر) ٩/ ٢٨٠.

(٣) في نسخة (ج): (وهو خطأ لا وجه له).

(٤) وفي وصف الفلك بأنه مشحون إظهار لعظيم النعمة؛ لأن سلامة المملوء جداً أغرب. نظم الدرر ١٤/ ٦٧.

(٥) تفسير مقاتل ٥٢ ب.

(٦) تفسير مقاتل ٥٢ ب.

(٧) تفسير مقاتل ٥٢ ب.

(٨) تفسير مقاتل ٥٢ ب، وفيه زيادة: «من هذه الأمة ليحذروا مثل عقوبتهم».

(٩) تفسير مقاتل ٥٢ ب.

(١٠) تفسير مقاتل ٥٢ب.

(١١) تفسير مقاتل ٥٢ب. وتنوير المقباس: ٣١١.

وفي ذكر[١] تكذيب الأمم الخالية وتعذيب الله إيَّاهم تخويف لكفار مكة[٢] .

١٢٣ . وقولـه : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ : التأنيـث بمعنـى القبيلة والجماعة . ومضى الكلام في معنى جمع المرسلين في قصة نوح .

والباقي [١٢٤-١٢٧] مُفسَّر في ما سبق إلى قوله :

١٢٨ . ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ . قال ابن السكيت : الرِّيع : المكان المرتفع ، وذَكَرَ الآية ، قال : وقال عُمارة : الرِّيع : الجبل[٣] .

وقال أبـو عبيدة : الريع : الارتفـاع ، جمع : رِيعة[٤] ، ونحـو هذا قال المبرِّد وابن قتيبة ، وأنشدوا[٥] لذي الرمة ، فقال :

طِرَاقُ الخوافِي واقعٌ فـوقَ رِيعةٍ
ندى لَيلِهِ في ريشِهِ يترقرقُ[٦]

(١) (ذكر) ، في نسخة (ج) .
(٢) مختصر مما ذكره مقاتل ٥٢ب .
(٣) تهذيب اللغة (راع) ٣/ ١٧٩ .
(٤) مجاز القرآن ٢/ ٨٨ ، وفيه : «والجميع أرياع ، وريعة» .
(٥) في نسخة (ب) : «وأنشدوا قول ذي الرمة فقال» .
(٦) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٨ ، وفيه : مشرف ، (بدل) : (واقع) ، وهو كذلك عند ابن جرير ١٩/ ٩٢ ، ونسـباه إلى ذي الرمة ، وأنشـده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٨ ، ونسـبه إلى ذي الرمة ، وفيه : مشرفاً ، (بـدل) : (واقع) . يصف ذو الرمـة نظره كنظر البازي (نوع مـن الطيور) ومعنى : طراق : بعضه على بعـض ، والخوافي : ما دون القوادم من جناح الطائـر ، والرَّيعة : المكان المرتفع ، ويترقق : يجيء ويذهب . ديوان ذي الرمة ١٧٥ .

وقال الكسائي والفرَّاء : رِيع ورَيع بالكسر والفتح ، لغتان ؛ الواحدة : رِيعة ورَيعة ، مثل : الرِّير والرَّيْر ، وهو المكان المرتفع[١] .

وقال الزَّجَّاج : هـي في اللغة : الموضع من الأرض المرتفع ، ومن ذلك : كم رَيْعُ أرضك ؟ أي كم ارتفاع أرضك[٢] ؟

وقال ابن الأعرابي : الريع : مسيل الوادي من كل مكان مشرف ، وجمعه : أرياع وريوع[٣] .

قال ابن قتيبة : والريع أيضاً : الطريق[٤] ، وأنشد للمسَيَّب بن عَلَس[٥] ، وذكر ظُعُناً ، فقال :

في الآلِ يخفضُهَا ويرفعُهَا رِيعٌ يلوحُ كأنَّهُ سَحْلُ[٦]

شبَّه الطريق بالثوب الأبيض[٧] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ ، ولفظه : «رِيع ورَيع ، لغتان مثل : الريرِ ، والرار ، وهو : المخ الرديء» . الرار ، هكذا وردت . وما نقله عنه الأزهري في التهذيب ٣/ ١٨٠ موافق لما عند الواحدي ، ولم ينسب الأزهري هذا القول إلى الكسائي .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٦ .

(٣) تهذيب اللغة (راع) ٣/ ١٨٠ .

(٤) نسبه الماوردي ٤/ ١٨٠ إلى السدِّي .

(٥) انظر : ترجمته في جمهرة أشعار العرب ١١١ ، والخزانة ٣/ ٢٤٠ ، والأعلام ٧/ ٢٢٥ .

(٦) أنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٨ ، وأنشده الماوردي ٤/ ١٨٠ ، ثم قال : «السحل : الثوب الأبيض ، شبه الطريق به» ، وأنشده الزمخشري ٣/ ٣١٦ منسوباً إلى المسيب ، وهو كذلك في لسان العرب (سحل) ١١/ ٣٢٨ ، والأَلَلُ : الهودج الصغير . لسان العرب (ألل) ١١/ ٢٧ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٨ .

هذا كلام أهل اللغة في تفسير الرِّيع . وأمَّا أهل التفسير فقال الوالبي عن ابن عباس : يعني : بكل شرف[١] .

وقال قتادة : بكل طريق[٢] ، وهو لفظ مقاتل ، والكلبي ، والضحاك ، وابن عباس في رواية عطية[٣] ، وقال في رواية عطاء : بكل موضع . وهؤلاء الذين فسَّروا الريع بالطريق والموضع أرادوا الطريق والموضع المرتفع . وروى ابن أبي نجيح وابن جريج عن مجاهد : ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ ، قال : بكل فَجٍّ[٤] .

قال الزَّجَّاج : والفج : الطريق المنفرج في الجبل[٥] .

وقال عكرمة : بكل وادٍ[٦] ، وهذا موافق لقول ابن الأعرابي[٧] .

قوله : ﴿ءَايَةً﴾ . قال مقاتل والكلبي : عَلَماً[٨] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٣ من طريق علي بن أبي طلحة ، وأخرجه ابن جرير أيضاً عن مجاهد واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٧٩٣ ، ولم ينسبه .

(٢) أخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٤ ، وابن جرير ١٩/ ٩٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٣ .

(٣) نسبه إلى هؤلاء الثعلبي ٨/ ١١٤ب ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٤ عن ابن عباس والضحاك ، وهو في تفسير مقاتل ٥٢ب . وتنوير المقباس :٣١١ ، وذكر الماوردي ٤/ ١٨٠ عن الكلبي أنه فسَّر الريع بالسوق .

(٤) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٣ من طريق ابن أبي نجيح ، وهو كذلك عند ابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٣ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٤ عنه من طريق ابن جريج ، وابن أبي نجيح .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٦ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٤ب .

(٧) الذي سبق ذكره ، ولفظه : «مسيل الوادي . . . .» .

(٨) تفسير مقاتل ٥٢ب ، وتنوير المقباس :٣١١ ، ولفظه : «بكل طريق علامة» وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣٤ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٤ عن ابن عباس .

وعن ابن عباس : بنياناً علماً[١] .

﴿تَعْبَثُونَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد : تبنون ما لا تسكنون[٢] ، فعلى هذا أنكر هودٌ عليهم بناءهم ما يستغنون عنه ، ولا يسكنونه ، وجعل ذلك منهم عبثاً .

وقال الكلبي : ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمر بالطريق[٣] ، وعلى هذا معنى الآية : تبنون بالمواضع المرتفعة كي تشرفوا على المارة والسائلة ، فتسخروا منهم وتعبثوا بهم .

وقال مقاتل : بل[٤] كانوا إذا سافروا لا يهتدون إلا بالنجوم ، فبنوا القصور الطوال على الطرق عبثاً[٥] .

وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا : هذا[٦] في بنيان الحَمَام[٧] ، وعلى هذا أنكر عليهم اتخاذهم بروجاً للحَمَام عبثاً . وهذه أوجه أربعة في معنى العبث المذكور هاهنا . وذكر بعض أهل المعاني وجهاً له ؛ فقال : كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالي ليدلوا بذلك على زيادة قوتهم ، وذلك عبث .

---

(١) اقتصر عليه في تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٨ ، ولم ينسبه . أخرج ابن جرير ١٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤ عن مجاهد : ﴿ءَايَةً﴾ بنيان .

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٨ وزاد المسير ٦/ ١٣٤ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٧٩ ، وصدَّره بقوله : وروي عن ابن عباس .

(٣) تنوير المقباس :٣١١ مختصراً .

(٤) (بل) في نسخة (أ) و(ب) .

(٥) تفسير مقاتل ٥٢ ب .

(٦) (هذا) في نسخة (ج) .

(٧) واقتصر على هذا القول في الوجيز ٢/ ٧٩٣ ، وأخرج هذا القول عن مجاهد ، ابن جرير ١٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤ ، وذكره الماوردي ٤/ ١٨١ عن السدِّي ، وذكره عنهما البغوي ٦/ ١٢٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣ .

١٢٩. قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾. قال الليث: المصنعة شبه صهريج عميق يُتخذ للماء، والجمع[١] المصانع، والمصانع التي يتخذها الناس من الأبنية والآبار.

قال لبيد:

بَلِينَا وما تَبْلَى النُّجومُ الطَّوالِعُ وتبلى الدِّيارُ بعدَنا والمصانعُ[٢]

وقال أبو عبيدة: كل بناء مَصْنَعة[٣].

قال الأزهري: وقال بعضهم: هي أحباس تُتَّخذ للماء، كالزلَف، واحدها: مَصْنَعة، ومَصْنَع يحتفرها الناس فيملؤها ماءُ السماء فيشربونها. ويقال للقصور أيضاً: مصانع[٤].

قال ابن عباس: هي الأبنية[٥].

وقال مجاهد: قصوراً مشيدةً، وبنياناً مخلداً[٦].

وقال الكلبي: مصانع: منازل[٧].

---

(١) في نسخة (أ): (الجميع)، وفي كتاب العين (صنع) ١/ ٣٠٥: (وتجمع المصانع).

(٢) كتاب العين (صنع) ١/ ٣٠٥، ولم أجد قول الليث في تهذيب اللغة (صنع) ٢/ ٣٧. وأمَّا البيت فقد ذكره الأزهري منسوباً إلى لبيد، وهو مطلع قصيدة يرثي بها أخاه: أربد، وهي في الديوان ٨٨ بلفظ:
بلينَا وما تبلَى النُّجومُ الطَّوالِعُ وتبقى الجبالُ بعدَنَا والمصانعُ

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٨٨.

(٤) تهذيب اللغة (صنع) ٢/ ٣٧.

(٥) قال ابن قتيبة: «المصانع: البناء، واحدها مصنعة». غريب القرآن ٣١٩.

(٦) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٣، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٥ «بلفظ: قصور، وحصون».

(٧) تنوير المقباس: ٣١١، وذكر الهواري ٣/ ٢٣٤ عن الكلبي أن المراد: القصور، وذكر البغوي ٦/ ١٢٣ عنه: الحصون.

وقال مقاتل : يعني القصور[١] .

وذكر قتادة القولين ؛ أحدهما : القصور والحصون ، والثاني : مآخذ للماء[٢] .

وقال سفيان : المصانع التي يكون فيها الماء[٣] .

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد كي تخلدوا[٤] ، وهي اختيار الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وابن قتيبة . [قال الفرَّاء : كيما يخلدوا[٥] .

وقال الزَّجَّاج : ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ؛ أي كي تخلدوا ؛ أي وتتخذون مباني للخلود[٦] .

وقال ابن قتيبة][٧] : وكأنهم كانوا يستوثقون من البناء والحصون ، ويذهبون إلى أنها تحصنهم من قدر الله[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٣ أ ، وفيه : «يعني : القصور ليُذكروا بها ، هذا منزل بني فلان ، وبني فلان» . واقتصر في الوجيز ٢/ ٧٩٣ على أن المراد بالمصانع : المباني والقصور .

(٢) أخرج القول الثاني عبدالرزاق ٢/ ٧٤ ، وابن جرير ١٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤ .

(٣) قال ابن جرير ١٩/ ٩٥ : «والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مصنعَة ، والعرب تسمي كل بناءٍ مصنعةً ، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً ، وحصوناً مشيدة ، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء ، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان ، ولا هو مما يدرك من جهة العقل ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع» .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١١٤ب ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٦ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٩٦ ، بقوله : «وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم في هذا الموضع بمعنى : كيما» ، ولم يسمِّه ، ولم يعلِّق عليه .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٦ ، وفيه : «ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ؛ أي لأن تخلدوا» .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ .

وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل : ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ كأنكم تخلدون[١] في الدنيا لا تموتون[٢] ، وهو قول الكلبي وأكثر المفسرين ، قالوا : يقول : كأنهم يخلدون[٣] ، و(لعل) تأتي في الكلام بمعنى كأن ، قال يونس في قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف :٦] معناه : كأنك فاعلٌ ذلك إن لم يؤمنوا[٤] ، والمعنى على هذا أنهم كانوا قد جاوزوا في اتخاذ المصانع إلى الإسراف كأنهم يخلدون فيها فلا يموتون .

قال ابن الأنباري : وتكون : (لعل) بمعنى الاستفهام ، كقولك : لعلك تشتمني ، معناه : هل تشتمني[٥] . وهذا مذهب ابن زيد في هذه الآية ، قال : (لعل)[٦] استفهام يعني : فهل تخلدون حين تبنون هذه الأبنية[٧] ؟ ويجوز أن يكون معنى (لعل) هاهنا : الترجي للخلود ، وكأنهم كانوا يرجون خلودهم في الدنيا لطول أعمارهم فاتخذوا الأبنية الشديدة[٨] .

١٣٠. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ . قال المفسرون : بطشتم بالسيف والسوط[٩] .

---

(١) (كأنكم تخلدون) ، في نسخة (ج) . ذكر البخاري عن ابن عباس : ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ : كأنكم . الفتح ٨/ ٤٩٦ ، وهو كذلك في تنوير المقباس :٣١١ ، ووصله ابن جرير ١٩/ ٩٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٥ ، من طريق علي بن أبي طلحة ، وأخرجه ابن جرير عن قتادة أيضاً .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣أ .

(٣) تنوير المقباس :٣١١ .

(٤) ذكره عن يونس ، الأزهري في تهذيب اللغة (لعل) ١/ ١٠٦ .

(٥) ذكره عن ابن الأنباري ، الأزهري في تهذيب اللغة (لعل) ١/ ١٠٦ .

(٦) في نسخة (أ) : (لعلك) .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٥ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١١٤ب .

(٨) كون لعل للترجي ذكره الأزهري عن ابن الأنباري بلفظ : «لعل يكون ترجياً ، ويكون بمعنى : كي» . تهذيب اللغة (لعل) ١/ ١٠٦ .

(٩) تفسير ابن جرير ١٩/ ٩٦ ، قال الكلبي : تقتلون على الغضب ، وقال غيره : ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ =

قال ابن عباس : يريد الضرب بالسياط والقتل بالسيف بغير حق[١] .

وقال مقاتل : يقولون : إذا أخذتم قتلتم بغير حق[٢] .

وقال ابن مسلم ، يقول : إذا ضربتم ضربتم بالسياط ، ضرب الجبارين ، وإذا عاقبتم قتلتم[٣] . قال أبو إسحاق : وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم ، فأمَّا في الحق فالبطش بالسوط[٤] والسيف جائز[٥] .

ومعنى الجبار هاهنا : القَتَّال بغير حق ، وهو قول المفسرين[٦] .

١٣٢ . قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي أعطاكم ما تعلمون من الخير[٧] .

قال مقاتل : ثم أخبر بالذي أعطاهم ، فقال[٨] :

= بالسوط . معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ ، ولم يسمِّ أحداً . وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٥ عن مجاهد ، قال : ضرب السياط ، ونحوه عند السمرقندي ٢/ ٤٧٩ ، ولم ينسبه . قال الزَّجَّاج ٤/ ٩٦ : «جاء في التفسير أن بطشهم كان بالسوط ، والسيف» .

(١) أخرج ابن جرير ١٩/ ٩٦ عن ابن جريج : «قال : القتل بالسيف والسياط» .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣أ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ .

(٤) في نسخة (ج) : (بالموت) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٦ ، وزاد المسير ٦/ ١٣٦ .

(٦) تنوير المقباس :٣١١ ، وفي تفسير مقاتل ٥٣أ : «الجبار من يقتل بغير حق» . وذكره السمرقندي ٢/ ٤٧٩ ، ولم ينسبه . وقسم ابن الأنباري الجبار إلى ستة أقسام ، هذا أحدها . الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٨١ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٣أ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٣أ .

١٣٣-١٣٥ . ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ﴾ إلى قوله : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد إن عصيتموني ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يريد الذي أهلكوا به[١] ، ونحو هذا قال مقاتل : يعني في الدنيا[٢] ، وقال الكلبي : يعني عذاب النار[٣] .

١٣٦ . ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ . قال مقاتل : وعظت بالعذاب أم تركت[٤] ، وقال الكلبي : نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا[٥] .

١٣٧-١٣٨ . وقوله تعالى : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين[٦] ، وهذا قول السدِّي : قال دين الأولين .

وذكرنا الخَلْق بمعنى الدين عند قوله : ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء :١١٩][٧] ، وفيه قول آخر . قال مقاتل : ما هذا العذاب الذي تقول يا هود إلا كذب الأولين[٨] .

---

(١) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وتعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب . نظم الدرر ١٤/ ٧١ .

(٣) تنوير المقباس :٣١١ ، وفي نسخة (ب) : (قال مقاتل الكلبي) ، وهو خطأ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٣أ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٩ ، وتنوير المقباس :٣١١ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٧ ، من طريق علي بن أبي طلحة .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قال ابن عباس : يريد دين الله . وهو قول إبراهيم ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والسدِّي وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، ومعنى تغيير دين الله على ما ذكره أهل العلم هو أن الله تعالى فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجهم من ظهر آدم كالذر ، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم ، وآمنوا ، فمن كفر فقد غير فطرة الله التي فطر الناس عليها . . . .» .

(٨) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وفيه : أحاديث بدل : (كذب) .

وهو قول ابن مسعود : قال : شيء اختلقوه[١] .

وقال مجاهد : كذبهم[٢] . فالخَلْق على هذا معناه الاختلاق والكذب[٣] ، كقوله : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص :٧] ، وقوله : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت :١٧] ؛ أي تختلقونه[٤] ، وفيه قول آخر وهو قول قتادة ، قال : يقولون : هكذا خِلْقَةُ الأولين ، وهكذا يحيون ، ويموتون[٥] .

قال الزَّجَّاج على هذا القول : أي خُلِقنا كما خُلِق مَن قبلنا نحيا كما حيوا ، ونموت كما ماتوا ، ولا نبعث[٦] .

وقال أبو علي : فخَلْق على هذا مصدر ، إن شئت قدرته تقدير الفعل المبني للمفعول ؛ أي خُلِقنا كما خلقوا ، قال : ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى المفعول به ، ولا يقدَّر تقدير[٧] الفعل المبني للمفعول[٨] .

---

(١) في نسخة (ب) : زيادة : (فيه) ، بعد اختلقوه) . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٨ إلى نهاية الآية بلفظ : شيء اختلقوه «وأخرج ابن جرير أيضاً ١٩/ ٩٧ عن ابن عباس : «أساطير الأولين» . وفي تنوير المقباس :٣١١ : «اختلاق الأولين» .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٤ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٧ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٧ ، واستدل ابن قتيبة بهذه الآية على أن الخلق يراد به : التخرص . تأويل مشكل القرآن ٥٠٦ ، وقال في غريب القرآن ٣١٩ : «أراد : اختلاقهم وكذبهم» ، وكذا أبو القاسم الزَّجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ٢٨٦ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٥ بنصه .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٥ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ٩٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٧ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٧ .

(٧) تقدير هكذا مكررة في النسخ الثلاث .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٥ .

وقُرِئ بضم الخاء واللام[١] . قال الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، وابن قتيبة ، وأبو علي : عادة الأولين[٢] .

وله تأويلان ؛ أحدهما : إنهم قالوا : ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين مِنْ قبلنا ، يعيشون ما عاشوا ، ثم[٣] يموتون ولا بعث ولا حساب[٤] . والثاني : ما هذا الذي أنكرتَ علينا من الشأن والبطش إلا عادة مَنْ قبلنا ، فنحن على ما كانوا عليه نقتدي بهم .

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ على ما نفعل . قال ابن عباس : يريدون أنهم أمنوا مكر الله ، فكذَّبوه بالعذاب في الدنيا[٥] . ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بالريح[٦] .

١٤٦ . قوله : ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ . قال مقاتل : يعني في ما أعطاهم الله من الخير ﴿آمِنِينَ﴾ من الموت[٧] .

وقال الكلبي : آمنين من أن يعذبوا[٨] .

---

(١) قرأ بضم الخاء واللام : نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي : (خَلْق) بفتح الخاء ، وتسكين اللام . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٣٦ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٥ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٣٥ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٥ .

(٣) في نسخة (ب) : (ويموتون) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٥ بمعناه .

(٥) تفسير مقاتل ٥٣أ بلفظ : «فكذبوه بالعذاب في الدنيا» ، وهو كذلك في النسخ جميعها .

(٦) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وتنوير المقباس :٣١١ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٣أ ، قال ابن جرير ١٩/ ٩٩ : «آمنين لا تخافون شيئاً» . وفي تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٠ ، والوجيز ٢/ ٧٩٤ : «آمنين من الموت والعذاب» .

(٨) تنوير المقباس ٣١٢ بمعناه .

قال مقاتل : ثم أخبر عن الخير ، فقال[١] :

١٤٧-١٤٨ . ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخۡلٍ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ : طلعها : ما يطلع منها ، يعني ثمرها[٢] .

وأمَّا الهضيم فروى سلمة عن الفرَّاء ، قال : هضيم ما دام في كوافيره[٣] ، قال : والهضيم : اللين[٤] ، والهضيم : اللطيف[٥] ، والهضيم : النضيج[٦] .

وقال أبو العباس في قوله : ﴿طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ ، قال : منهضم مدرِك ، قال : وقال ابن الأعرابي : هضيم مريء ، وهضيم ناعم[٧] .

وقال الزَّجَّاج : الهضيم الداخل بعضه في بعض ، وهو في ما قيل إن رُطَبَه بغير نوى ، وقيل : هو الذي يتهشم تهشماً[٨] .

وقال الليث : هضيم مهضوم في جَوْف الجُفِّ ، مُنهضمٌ فيه[٩] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٣أ .

(٢) تنوير المقباس :٣١٢ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢ ، الكافور : وعاء الطلع . تهذيب اللغة (كفر) ١٠/ ٢٠٢ .

(٤) نسبه الماوردي ٤/ ١٨٢ إلى عكرمة .

(٥) نسبه الماوردي ٤/ ١٨٣ إلى الكلبي .

(٦) نسبه الماوردي ٤/ ١٨٣ إلى ابن عباس .

(٧) تهذيب اللغة (هضم) ٦/ ١٠٥ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٦ ، قال أبو عبيدة : «﴿هَضِيمٞ﴾ ؛ أي قد ضم بعضه بعضاً» . مجاز القرآن ٢/ ٨٨ .

(٩) كتاب العين (هضم) ٣/ ٤١٠ . ونقله الأزهري في تهذيب اللغة ٦/ ١٠٥ ، الجف : الوعاء الذي تكون فيه ثمرة النخل . تهذيب اللغة (جف) ١٠/ ٥٠٦ ، وفي المعجم الوسيط ١/ ١٢٧ : الجف : كل ما خلا جوفه ، وهو أيضاً : غشاء الطلع .

وقال المـبِّرد : الهضيم : اللاصق بعضه ببعض ، وهـو من قولك : هضمني حقي ؛ أي نقصني[١] .

وقال ابن قتيبة : الهضيم : الطلع قبل أن تنشـق عنه القشرة وتنفتح ، يريد أنه منضم مُكتَنِزٌ ، ومنه قيل : رجل أهضم الكَشْحَين إذا كان مُنْضَمَّهما[٢] .

قال ابن عبـاس : هضيم : لطيف ما دام في كفـراه[٣] . [وقال عطاء ، عنه : رُخْص[٤] . وقال عطية عنه : يانع نضيج[٥] .

وقال الكلبي : لين لطيف[٦] ما دام في كفراه][٧] فإذا خرج فليس بهضيم[٨] . وقال مقاتل : متراكب بعضه على بعض في الكثرة[٩] .

قال مجاهد : يتهشم تهشماً[١٠] .

---

(١) في غريب القرآن في شـعر العرب ١٠٣ عن ابن عباس : «متصل بعضه إلى بعض» . قال السـيوطي : «أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق ، قال له : أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ قال : منضم بعضه إلى بعض» . الدر المنثور ٦/ ٣١٤ ، ولم أجده عندهما .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ ، الكَشْـح : ما بين الخاصرة والضلوع . تهذيب اللغة (كشح) ٤/ ٨٧ ، والخاصرة من الإنسـان : ما بين رأس الورك وأسـفل الأضلاع ، وهما خاصرتان . المعجم الوسـيط (خصر) ١/ ٢٣٧ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١١٥أ ، والبغوي ٦/ ١٢٤ .

(٤) الرَّخْـصُ : الناعم مـن كل شيء ، والثوب الرخيـص : الناعم . كتاب العـين (رخص) ٤/ ١٨٤ ، وتهذيب اللغة ٧/ ١٣٤ .

(٥) ذكره عنـه الثعلبي ٨/ ١١٥أ ، والمـاوردي ٤/ ١٨٣ ، والبغـوي ٦/ ١٢٤ ، وأخرجه عنه ابن جرير ١٩/ ٩٩ ، بلفظ : «أينع وبلغ فهو هضيم» .

(٦) تنوير المقباس ٣١٢ ، وأخرجه عنه عبدالرزاق ٢/ ٧٥ «بلفظ : الهضيم : اللطيف» .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٨) ذكر الهوَّاري ٣/ ٢٣٥ عن الكلبي : «لطيف ، وهو الطلع ما لم ينشق» .

(٩) تفسير مقاتل ٥٣أ ، أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٠ عن الضحاك .

(١٠) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٢ .

وقال عكرمة : الهضيم الرَّخْص الذي إذا مسسته تهشم[١] .

وقال الحسن : هضيم ليس فيه نوى[٢] .

وقال يزيد بن زيد : هو المُذَنِّب[٣] ، وهو قول زيد بن أرقم روي أنه أكل رُطَبًا[٤] مُذنباً ، وقال : هذا الهضيم[٥] .

هذا الذي ذكرنا هو قول أهل اللغة والتفسير في معنى الهضيم ، وكله متقارب يرجع إلى معنى واحد ؛ لأن الهضيم معناه في اللغة[٦] : كَسْرُ ما فيه رخاوة ولين . تقول : هضمته فانهضم كالقَصَبة المَهضُومة التي يُزْمَر بها[٧] ، والهضيم بمعنى المهضوم فيدخل في هذا اللين ، واللطيف ، والرَّخْص ، واليانع ، والنضيج ، والمنضم ، والمتراكب ؛ لأنه إذا تراكب صار كأن كلَّ واحدٍ قد نقصَ منه شيء ، وكذلك : المنهشم . ويكون الهضيم بمعنى النقصان وهو نوع من الكسر ، يقال :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٢ عن مجاهد ، وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٠٠ عن عكرمة : «الهضيم : الرطب اللين» . ذكر النحاس عن الزهري : «الرخص اللطيف ، أول ما يطلع ، وهو الطلع النضيد ؛ لأن بعضه فوق بعض» . إعراب القرآن ٣/ ١٨٧ ، وذكره ابن عطية ١١/ ١٣٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠١ ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر . الدر المنثور ٦/ ٣١٥ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها : (يزيد بن زيد) . أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠١ عن أبي العلاء ، وأبي ميسرة ، ويزيد بن راشد ، وسعيد بن جبير ، وأخرجه بسنده الثعلبي ٨/ ١١٥أ عن أبي العلاء ، وذكره الماوردي ٤/ ١٨٢ ، وابن الجوزي ٦/ ١٣٨ عن سعيد بن جبير . قال القرطبي ١٣/ ١٢٨ : وروى أبو إسحاق عن يزيد ، وهو ابن أبي زياد كوفي ، ويزيد بن أبي مريم شامي . انظر : ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٧ ، رقم ٥٣١ . فتراجع .
يقال للبسرة إذا بدأت تُرَطب من قِبَل ذنبها : قد تذنبت ، فهي مُذَنِّبَةٌ . تهذيب اللغة (ذنب) ١٤/ ٤٤٠ .

(٤) (رطباً) ساقطة من نسخة (ج) .

(٥) في نسخة (ج) زيادة : (وقال) ، والصواب حذفها .

(٦) (في اللغة) ، في نسخة (ج) .

(٧) كتاب العين (هضم) ٣/ ٤٠٩ بنصه ، ونقله عنه الأزهري ٦/ ١٠٤ ، وتصحفت فيه إلى : يُرمى بها . وهي كذلك في النسخ الثلاث . والقصب : كل نبت ساقه أنابيب . تهذيب اللغة (قصب) ٨/ ٣٨١ .

هَضَم له من حقه إذا كَسَر له منه . واللطيف في وصف الثمر هو الرقيق الجسم ، سُمِّي هضيماً لنقصانه[١] ، كما يقال : هضيم الحَشَا[٢] .

١٤٩. وقوله تعالى : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : حاذقين بنحتها[٣] ، وكذلك قال الكلبي ، ومقاتل ، وأبو صالح ، والفرَّاء : فارهين حاذقين[٤] ، وهو من قولهم . فَرُه الرجلُ فَرَاهة فهو فارِهٌ بَيِّنُ الفرَاهة والفراهية .

وقُرِئ : ﴿فَٰرِهِينَ﴾[٥] . قال ابن عباس : أشرين بطرين[٦] ، ونحو هذا قال أهل اللغة في تفسير الفَرَه . قال أبو عبيدة : فرهين : فرحين[٧] .

---

(١) في تهذيب اللغة (لطف) ١٣/ ٣٤٧ : لَطُف الشيء يَلْطف : إذا صَغُر .

(٢) وذهب إلى هذا الجمع ابن جرير ١٩/ ١٠٠ ، قال : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضيم هو المنكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضم فلان فلاناً حقه : إذا انتقصه وتحيفه ، فكذلك الهضم في الطلع إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه ، إمَّا بمس الأيدي ، وإمَّا بركوب بعضه بعضاً ، وأصله (مفعول) صرف إلى : (فعيل) ، والحشا : ما في البطن من الكبد والطِّحال والكرش وما يتبع ذلك ، كله حشا ، وقيل غير هذا» . تهذيب اللغة (حشا) ٥/ ١٣٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٢ من طريق علي بن أبي طلحة .

(٤) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وتنوير المقباس ٣١٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢ ، ومجاز القرآن ٢/ ٨٨ ، وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٥ عن قتادة والكلبي بلفظ : «معجبين بصنعكم» ، وذكره ابن قتيبة من دون نسبة . غريب القرآن ٣٢٠ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٢ عن أبي صالح .

(٥) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع : (فرهين) بغير ألف ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ﴿فَٰرِهِينَ﴾ بألف . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٣٧ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٦ ، والنشر في القراءات العشر :٢/ ٣٣٦ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠١ بلفظ : (أشرين) ، وذكره عنه البغوي ٦/ ١٢٤ بلفظ : (أشرين بطرين) .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٨٨ ، ولم ينسبه ، بل قال : وقال آخرون . ونسبه الماوردي ٤/ ١٨٣ إلى ابن شجرة .

وقال الفرَّاء : أشرين[١] .

قال أبو الهيثم : من قرأ : ﴿فَرِهِينَ﴾ فسَّروها : أشرين بطرين ، والفَرِح في كلام العرب بالحاء : الأَشِر البَطِر ، يقال : لا تفرح ؛ أي لا تأشَر ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص :٧٦] . فالهاء هاهنا قامت مقام الحاء[٢] . وقال ابن قتيبة : يقال الهاء مبدلة من حاء ، فذكر نحو قول أبي الهيثم ، واحتج بالآية .

وقد يقال في الفَرِه بمعنى الفَرِح : الفاره ، كما يقال : الفارح[٣] .

قال أبو عبيدة : يقال فرهين وفارهين بمعنى مرحين ، وأنشد فقال :

لا أستكينُ إذا ما أزمةٌ أزَمتْ ولنْ تراني بخيرٍ فارِهَ اللَّبَبِ[٤]

قال : أي لا تراني مرحاً ، ونحو هذا ذكر المفسرون في تفسير الفرهين ، فقال مجاهد : شرهين[٥] .

وقال قتادة : معجبين[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢ .

(٢) تهذيب اللغة (فره) ٦/ ٢٧٩ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٤٩١ ، وغريب القرآن ٣١٩ ، ويعني بقوله : واحتج بالآية : آية القصص : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ ، حيث ذكرها في الكتابين .

(٤) أنشده أبو عبيدة ٢/ ٨٩ ، ونسبه إلى عدي بن وداع العُقوي ، وعنه ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ٣٣٠ ، ولم ينسبه ، وأبو علي في كتابه الحجة ٥/ ٣٦٦ ، ولم ينسبه أيضاً . وأنشده ابن جرير ١٩/ ١٠١ ، ونسبه إلى عدي بن وادع ، وفيه : الطلب ، بدل : (اللبب) واللبب : البالُ . لسان العرب (لبب) ١/ ٧٣٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠١ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٢ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٥ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٠١ .

وقال السـدِّي : متجبرين[١] . والشره ، والإعجاب ، والمرح ، والتجبر كله نتائج الفرح والأشر .

وروي عـن عكرمـة : ناعمين[٢] ، وهو وهـم ؛ لأن[٣] الـذي هو بمعنى النعيـم الراء فيه مقدَّم عـلى الفاء من الرفاهيـة ، وروي في فارهين ، عن عطية ، وعبدالله بن شـداد ، أنهما قالا : يتخيرون مواضع نحتها[٤] ، وهذا أيضاً يعود إلى الحذق ، والعلم بالبحث .

وقال ابن زيد : (فارهين) : أقوياء[٥] . وشرط الحِذْق القوةُ على العمل .

١٥١ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ . قال ابن عباس : المشركين[٦] ، وقال الكلبي : المسرفين في الشرك[٧] .

وقال مقاتل : ولا تتبعوا قول المشركين ، يعني التسعة الذين عقروا الناقة ، ثم نعتهم[٨] ، فقال[٩] :

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٠ عن السدِّي ، عن عبدالله بن شداد .

(٢) نسبه القرطبي ١٩/ ١٢٩ إلى الكلبي .

(٣) في نسخة (ب) : (لأنه) ، وهو خطأ .

(٤) أخرجـه ابن جرير ١٩/ ١٠٠ عن عبدالله بن شـداد من طريقين : يتجبرون ، ولم أجد فيه نسـبته إلى عطية .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠١ .

(٦) ذكره عنه البغوي ٦/ ١٢٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٠٨٣ عن قتادة .

(٧) تنوير المقباس :٣١٢ .

(٨) في نسخة (ب) : (ثم نعت التسعة) ، وما في تفسير مقاتل موافق لنسخة (أ) و(ج) .

(٩) تفسير مقاتل ٥٣أ .

١٥٢. ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : يعصون الله ، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ : ولا يطيعون الله[١] في ما أمرهم[٢] .

١٥٣. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ . قال مجاهد : من المسحورين[٣] ، وهو قول قتادة[٤] . قال الزَّجَّاج : مُسَحَّرين : مفعلين من السَّحْر ؛ أي ممن سُحر مرة بعد مرة[٥] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي : من المخلوقين[٦] ، المعللين بالطعام والشراب[٧] .

---

(١) في نسخة (أ) و(ج) : (يطيعونه) .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣ب .

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٤ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٢ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٠٨٤ .

(٤) أخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٥ بلفظ : (الساحرين) ، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٠٢ بلفظ : (المسحورين) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٧ ، في نسخة (أ) و(ب) : (إنك تأكل الطعام والشراب . وليس فيه ممن سحر مرة بعد مرة ، ولعل ذلك تكرار لما بعده .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٢ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٥ب ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٤ ، واختار هذا القول ابن جرير ١٩/ ١٠٣ ، فقال : «والصواب من القول في ذلك عندي : القول الذي ذكرته عن ابن عباس أن معناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يُعلَّلون بالطعام والشراب مثلنا ، ولسَت ربًّا ، ولا ملَكاً فنطيعك ، ونعلم أنك صادق في ما تقول» .

قال الفرَّاء : أي إنك تأكل الطعام والشراب ، وتسحر به وتعلَّل ، وأنشد للبيد :

فإنْ تسألينَا فيمَ نحنُ فإنَّنا عصافيرُ منْ هذا الأنامِ المُسَحَّرِ[١]

المُسَحَّر : المُعَلل بالطعام والشراب مرة مرة ، يقال : سَحَره ؛ أي عَلله . والمعنى : إنما أنت بشر . وذكر الفرَّاء قولاً آخر ، فقال : المُسَحَّر : المجوف ، كأنه والله أعلم من قولك : انتفخ سَحْرُه[٢] . قالوا له : لست بمَلَك إنما أنت بشر مثلنا[٣] ، وعلى هذا سُمِّي المجوف مسحراً تشبيهاً بالسحرة إذا انتفخ فصار مجوفاً على ما زعم الفرَّاء . وذكر أبو عبيدة والزَّجَّاج قولاً آخر في ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ . قال أبو عبيدة : أي ممن له سَحَر ، وكل دابة مُسحَّرَة[٤] .

وقال الزَّجَّاج : أي ممن له سَحْر ، والسَّحْرُ : الرئة ؛ أي أنت بشر مثلنا[٥] ، وعلى هذا : المُسَحَّر ذو السَّحْر ، وهو الذي خُلِق له سَحْر .

قال مقاتل : قالوا : أنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء لست بملَك ولا رسول[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢ ، ولم ينسب البيت . وأنشده أبو عبيدة ٢/ ٨٩ ، ونسبه إلى لبيد بن ربيعة ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٨١ من إنشاد ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/ ١١٥ من إنشاد الكلبي وأنشده ابن الأنباري ، ونسبه إلى لبيد . الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٢٠٦ . والبيت من قصيدة للبيد يذكر فيها مَنْ فقد من قومه ، ومن سادات العرب ، ويتأمل في سطوة الموت ، وضعف الإنسان إزاءه . ديوان لبيد ٧١ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢ .

(٣) هذا القول في تنوير المقباس :٣١٢ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٨٩ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٧ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٣ب .

١٥٤. ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أنك رسول الله إلينا[١]. وقال ابن عباس: إنهم سألوه فقالوا: إن كنت صادقاً فادعُ الله يخرجْ لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عُشَراء فتضع ونحن ننظر، وتَرِد هذا الماء فتشرب، وتغدو علينا بمثله لبناً! قال أبو الطفيل: لمَّا قيل له ذلك خرج بهم إلى هَضبة من الأرض، فإذا هي تَمْخَضُ كما تَمْخَضُ الحامل فانشقت عن الناقة[٢].

١٥٥. ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾: الشِّرب: الحظ والنصيب من الماء[٣]، والمعنى: لها شِرب يوم، ولكم شِرب يوم معلوم.

قال قتادة: إذا كان يومُ شربها شربت ماءهم كله أول النهار، وتسقيهم اللبن آخر النهار، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأراضيهم، ليس لهم في يوم وِرْدِها أن يشربوا من شربها شيئاً، ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئاً[٤].

وقال مقاتل: كان للناقة يوم ولهم يوم، فإذا كان يوم الشرب للناقة[٥] كانوا[٦] في لبن ما شاءوا، وليس لهم ماء، وإذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء[٧].

---

(١) تفسير مقاتل ٥٣ب.

(٢) ذكره في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٦٠ من قول ابن عباس فقط. وهذا القول في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٥، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٤ عن أبي الطفيل. المَخاض: وَجَعُ الولادة، وهو الطَّلْق أيضاً. تهذيب اللغة (مخض) ٧/ ١٢١.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢، ولفظه: «لها حظ من الماء»، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٠، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٥ب.

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٠، وذكر نحوه عن قتادة ابن الجوزي ٦/ ١٣٩.

(٥) في نسخة (ج): (يوم شرب الناقة).

(٦) في نسخة (أ) و(ب): (كان).

(٧) تفسير مقاتل ٥٣ ب.

والباقي [١٥٦-١٦٤] بعضه مُفسَّر في ما مضى ، وبعضه ظاهر إلى قوله :

١٦٥ . ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾[١] : وهو جمع الذَّكَر ضد الأنثى ، ويجمع على الذِّكارة والذُّكور والذُّكران والذُّكورة[٢] .

قال مقاتل : يعني نكاح الرجال[٣] .

وقوله : (من العالمين) : يعني من بني آدم خاصة[٤] .

١٦٦ . ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ : يعني فروج نسائهم[٥] . وقال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال[٦] . ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام ، والطاعة إلى المعصية[٧] .

١٦٧ . ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ : لئن لم تسكت[٨] يا لوط . ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ : من بلدتنا وقريتنا كقولهم لشعيب : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ [الأعراف :٨٨] .

---

(١) الاستفهام هنا يراد به التوبيخ . تأويل مشكل القرآن ٢٧٩ .

(٢) تهذيب اللغة (ذكر) ١٠/ ١٦٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٣ب .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/ ١٠٥ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٦ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٣ب .

(٦) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٥ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٥ (بزيادة : وأدبار النساء) ، وهو كذلك عند ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٨ .

(٧) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦١ ، غير منسوب ، وتنوير المقباس :٣١٣ ، وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٠٥ عن ابن جريج : «عادون : معتدون» . وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٨١ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٤أ .

١٦٨. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ . قال مقاتل : يعني إتيان الرجال ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ من الماقتين[١] ، وقال ابن عباس : من المبغضين[٢] . والقِلَى : البُغْض ، قَلَيْته ، أَقلِيه ، قِلًى[٣] ، ثم دعا فقال :

١٦٩. ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي من عذاب ما يعملون ، يدل عليه أن الاستجابة من الله كانت في نجاته من عذاب ذنوبهم . قال المفسرون : أي من عقوبة صنيعهم[٤] .

١٧٠. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ . قال مقاتل : من العذاب[٥] .

وقال ابن عباس : إن الله نجى لوطاً وبناته[٦] .

١٧١. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ : يعني امرأته[٧] . ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ : يعني في الباقين في العذاب[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٤أ .

(٢) تنوير المقباس :٣١٣ ، واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٠ .

(٣) تهذيب اللغة (قلا) ٩/ ٢٩٥ ، قال الزَّجَّاج ٤/ ٩٩ : «والقالي : التارك للشيء الكاره له غاية الكراهية» .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/ ١٠٦ بمعناه .

(٥) لم أجده في تفسير مقاتل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٩ في سياق طويل .

(٧) تفسير مقاتل ٥٤أ ، وتنوير المقباس :٣١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٩ عن قتادة .

(٨) تفسير مقاتل ٥٤أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٩ عن قتادة . قال ابن الأنباري : «الغابر حرف من الأضداد . يقال : غابر للماضي ، وغابر للباقي» . الأضداد ١٢٩ ، والزاهر ٢/ ٣٢٤ .

١٧٢. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ : أهلكناهم بالخسف والحَصْب[١] . قال ابن عباس : [إن الله دمر][٢] على جميع قومه ؛ لأنه لم يصدقه أحد منهم ، ولم يؤمن بما جاء به .

١٧٣. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ . قال ابن عباس : أمطر الله عليهم حجارة من سماء الدنيا وأسماها : ﴿سِجِّيلٍ﴾[٣] ، وقال مقاتل : خسف الله بقرى لوط ، وأرسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية[٤] .

وقوله : ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ : فبئس مطر الذين أنذروا بالعذاب[٥] .

قال صاحب النظم : (ساء) مثل (بئس) في المعنى ، وهو يقتضي اسمين ؛ معرفة ونكرة ، ويجوز إفراده بأحد الاسمين كقوله : ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ . ولو ذُكِر الاسمان لكان نظمه[٦] ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مطراً .

١٧٦. قوله : ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد شعيباً وحده . والأيك : شجر الدَّوْم التي بمدين[٧] ، وقال مقاتل : كان أكثر شجرهم الدَّوْمُ ، وهو : المُقْل[٨] ، وقال أبو إسحاق : هؤلاء كانوا

---

(١) تفسير مقاتل ٥٤أ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٣) وردت هذه الكلمة في ثلاث آيات : [هود :٨٢] و[الحجر :٧٤] و[الفيل :٤] . انظر : ما ذكره الواحدي عن سجيل في سورة هود .

(٤) تفسير مقاتل ٥٤أ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٠ ، نحوه عن ابن عباس . وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٣٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٤أ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٧ من طريق علي بن أبي طلحة بلفظ : (الأيكة : مجمع الشجر) ، ومن طريق ابن جريج بلفظ : (أهل مدين ، والأيكة : الشجر الملتف) .

(٨) تفسير مقاتل ٥٤أ ، في تهذيب اللغة (دام) ١٤/ ٢١٢ : الدَّوْمُ : (شَجَر المُقْل ، الواحدة : دَوْمَة) ، وفي تهذيب اللغة (مقل) ٩/ ١٨٥ : (المُقْل : حَمل الدَّوْم ، والدَّوْمُ شجرة تشبه النخلة) .

أصحاب شجر مُلْتفٍّ[١] . وذكرنا تفسير ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ عند قوله : ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [الحجر :٧٨] .

قال[٢] : قرأ الحجازيون : (أصحاب ليكــة) هاهنا وفي ص[٣] ، بغير همزة ، والهاء مفتوحة[٤] .

قال أبو علي الفارسي : ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ تعريف أيكة ، فإذا خففت الهمزة حذفتها ، وألقيت حركتها على اللام فقلت : ليكة ، كما قالوا لَحْمَر . وقول من قال : أصحاب ليكةَ ، بفتح التاء مشكل[٥] ؛ لأنه فتح التاء مع إلحاق الألف واللام الكلمة ، وهذا في الامتناع كقول من قال : مــررت بِلَحْمَرَ فَفَتَح الآخِر مع لحاق لام المعرفة[٦] . وإنــما يُخرَّج قول من قال : أصحاب ليكةَ على أن تكون هذه اللام فاءً ، ولا تكون لام التعريف ، ويكون[٧] ذلك الموضع يعرف لهذا الاســم ، فإن لم يثبت هذا كان مشكلاً ولم أسمع بها .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٧ ، وصدَّره بقوله : «ويقال في التفسير» . قال أبو عبيدة ٢/ ٩٠ : «وجمعها : أيك ، وهي جماع من الشجر» .

(٢) قال ، في نسخة (ب) : (ولعلها زائدة) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [ص :١٣] .

(٤) قــال ابن الجزري : «قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامــر ، وأبو جعفر : ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ هاهنا ، وفي : ص ، بــلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ، ولا همزة بعدها ، وبفتح تاء التأنيث في الوصل ، مثل : حيوة ، وطلحة ، وكذلك رســماً في جميع المصاحف ، وقرأ الباقون بألف الوصل مع إســكان اللام ، وهمزة مفتوحة بعدها ، وخفض تاء التأنيث في الموضعين . انظر : النشر في القراءات العشر :٢/ ٣٣٦ ، والســبعة في القراءات ٤٧٣ ، وإعراب القراءات الســبع وعللها ٢/ ١٣٧ ، والمبســوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٧ .

(٥) (مشكل) في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٧ بمعناه .

(٧) في نسخة (ج) : (فيكون) .

قال أبو إسحاق : وكان أبو عبيد[١] يختار هذه القراءة لموافقتها الكتاب ؛ وذلك أن في هذه السورة وفي ص ، كتبت في المصحف (ليكة) بغير همز ولا ألف وصل[٢] مع ما جاء في التفسير أن اسم المدينة كان ليكة[٣] .

قال أبو علي : إن ما في المصحف من إسقاط [ألف الوصل التي مع اللام وإسقاط][٤] صورة همزة ليكة لا يدل على صحة ما اختاره ؛ وذلك أنه يجوز أن يكون كُتب في المصحف على تخفيف الهمزة[٥] ، ونقل الحركة[٦] ، وقول من قال : لحمرَ كما كتبوا ﴿ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل :٢٥] على ذلك ، فإذا جاز إسقاط ألف الوصل على هذه[٧] اللغة مع تخفيف الهمزة ونقل الحركة[٨] ثبت أن ما اختاره لا يدل عليه[٩] خط المصحف ، ويجوز أيضاً أن تكون الكتابة في هذين الموضعين وقعت على اللفظ[١٠] ؛ فكما أنه لا ألف ثانية في اللفظ مع تخفيف الهمزة في الأيكة كذلك

---

(١) في النسخ جميعها : (أبو عبيدة) . قال الزَّجَّاج في هذا الموضع ٤/ ٩٨ : «وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أهل المدينة» .

(٢) في نسخة (ب) : (بغير همز وصل) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٨ ، وذكر قول أبي عبيد النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٩٠ ، وكذا السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٥٤٤ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) في نسخة (أ) و(ب) ، زيادة : [ونقل الحركة ، ثبت أن ، [وليست في كتاب أبي علي .

(٦) (ونقل الحركة) . في نسخة (ب) . وفي إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٩٠ : «والقول فيه أن أصله : الأيكة ثم خففت الهمزة فألقيت حركتها على اللام وسقطت واستَغنيت عن ألف الوصل ؛ لأن اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلا الخفض ، كما تقول : مررت بالأحمر ، على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول : مررت بلَحْمر ، فإن شئت كتبته في الخط كما كتبته أولاً ، وإن شئت كتبته بالحذف ، ولم يجز إلا بالخفض فكذا لا يجوز في الأيكة إلا الخفض ، قال سيبويه : واعلم أن كل ما لا ينصرف إذا دخلته الألف واللام أو أضيف انصرف إذا دخلته ، ولا نعلم أحداً خالف سيبويه في هذا» .

(٧) في كتاب الحجة : (لهذا) ، بدل : (على هذه) .

(٨) قوله : (ونقل الحركة) غير موجود في كتاب الحجة .

(٩) يوجد هنا تكرار في نسخة (أ) ، وحذفته ليستقيم المعنى .

(١٠) في كتاب أبي علي : (الوصل) ، بدل : (اللفظ) .

[لم تكتب في الخط][(١)] ، وهذان وجهان في حذف ألف الوصل من الخط ، ومثله في أنه كُتب مرة على اللفظ ، وأخرى على غيره كتابتهم : ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق :١٨] بغير واو لمَّا لم تثبت في اللفظ ، وكتبت[(٢)] في : ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء :١١] بالواو ، فإذا جاز هذا فيه علمت أن الاختيار مدخول ، ويدل على ضعف الاختيار أن سائر القرآن غير هذين الموضعين عليه . ويدل على فساد ذلك أيضاً همز من همز ، فقال : (الأيكة) فإذا ثبت هذا علمت أن (ليكة) على تخفيف الهمز ، وأن فتح (ليكَةَ) لا يصح في العربية ؛ لأنه فتح حرف الإعراب في موضع الجر مع لام المعرفة . انتهى كلامه[(٣)] .

وقوله : جاء في التفسير أن اسم المدينة ليكة ، لم أرَ هذا في تفسير ، وكيف يجوز ذلك مع إجماع القراء على الهمز في قوله : ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ في [الحجر :٧٨] . والأيكة التي ذكرت هناك هي التي ذكرت هاهنا ، وقد روى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : (ليكة) ، قال : الأيكة . فدل هذا أن ليكة على التخفيف ونقل الحركة ، لا على أن اسم المدينة ليكة ، مع ما حكينا عن ابن عباس ومقاتل في هذه الآية أنهما فسَّرا الأيكة بالشجرة الغَيْضَة[(٤)] لا بالمدينة والبلد[(٥)] .

١٧٧ . قوله : ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف :٨٥ ، وهود :٨٤] ، ولم يقل في هذه السورة : إذ قال لهم أخوهم شعيب كما قال في سائر الأنبياء .

---

(١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٢) (وكتبت) في نسخة (ج) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٧ ، ونحوه في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٨ .

(٤) (الغيضة) في نسخة (أ) ، وفي(ج) : (والغيضة) . أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٠ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة . وتفسير مقاتل ٥٤أ .

(٥) في نسخة (ب) : (البلدة) . وقد أنكر هذا ، النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٨٩ قبل الواحدي .

قال المفسرون : شـــعيب كان من مدين ؛ لأنه شعيب بن بويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن ، ولم يكن مـــن أصحاب الأيكة ، وكان مبعوثاً إليهما ، فإذا ذكـــر مدين ، قيل : أخوهم ، وإذا ذكر أصحاب الأيكة لا يقال أخوهم[(١)] ، وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية : إن شعيباً بعث إلى قومه ، وإلى غير قومه ، وهو من ولد مدين بن إبراهيم ، وأصحاب الأيكة من جُذَام[(٢)] .

قـــال المفسرون : الفائدة في أن الله تعالى ذكره أخبر عن كل شيء ، ذَكر في هذه الســـورة أنه قال لقومه : ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وأعـــاد هذا بلفظ واحد [هي أنه أخـــبر أن هؤلاء الأنبياء دعوتهم كانت[(٣)] على وجـــه واحد][(٤)] ، وأنهم كانوا

---

(١) تفسير مقاتل ٥٤أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٥ب ، وتفسير الطوسي ٨/ ٥٧ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٦ ، وذكر الســـمرقندي في تفســـيره ٢/ ٤٨٢ ، هذا القول ، ثم قال : «وقال بعضهم : كان مدين والأيكة واحداً ، وهو الغيضة بقرب مدين ، فذكره في موضع أخوهم ، ولم يذكره في الآخر» . وقيل : أصحاب الأيكة مدين ، ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باســـم قبيلتهم ، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيهاً لشـــعيب عن النسبة إليها . تفســـير ابن جزي ٤٩٦ ، قال ابن كثير ٦/ ١٥٨ : «أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح ، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وإنما لم يقل هاهنا : أخوهم شـــعيب ؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، وهي شجرة فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسباً . ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة ، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين ، فزعم أن شـــعيباً ـعليه السلامـ بعثه الله إلى أمتين ، ومنهم من قال : ثلاث أمم» . ثم قال بعد أن ســـاق روايات ضعيفة في بعث نبي الله شعيب ـعليه السلامـ إلى أمتين : «والصحيح أنهم أمة واحـــدة ، وصِفوا في كل مقام بشيء ، ولهذا وعَظ هؤلاء وأمرهـــم بوفاء المكيال والميزان ، كما في قصة مدين سواء بسواء ، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة» .

(٢) جُـــذَام بن عدي : قبيلة من كهلان من القحطانية ومســـاكنها بين مدين وتبـــوك . انظر : معجم قبائل العرب ١/ ١٧٤ ، عمر رضا كحالة .

(٣) في نسخة (ب) : (كانت دعوتهم) ؛ بتقديم : (كانت) .

(٤) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

متفقين على الأمـــر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبـــادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوى وتبليغ الرسالة[١] .

١٨١. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ . قال المفسرون : من الناقصين للكيل والوزن[٢] . قال أبو عبيد : يقال : خَسَرْتُ المِيزان ، وأَخْسَرْتُه ، نَقَصْتُه[٣] . وتقول : كِلْتُـــه وَوَزَنْتُه فأَخْسَرْتُه ؛ أي نَقَصْتُه ، ومنه : قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين :٣][٤] ؛ أي يَنْقُصُون في الكيل والوزن ، ويجوز يَخْسِّرون في اللغة[٥] .

١٨٢-١٨٤ .قولـــه : ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مُفسَّر في ما مضى . والجبلـــة : الخليقة[٦] ، يقال : جُبل فلان على كذا وكذا ؛ أي خُلق[٧] . قال الشاعر :

والـمـوتُ أعـظـمُ حـادثٍ ... مـمـا يمـرُّ عـلـى الجبلـةِ[٨]

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٦أ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٦ بنصه ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير مقاتل ٥٤أ ، وتنوير المقباس :٣١٣ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٦ أ .

(٣) تهذيب اللغة (خسر) ٧/ ١٦٣ ، من قول أبي عبيد .

(٤) تهذيب اللغة (خسر) :٧/ ١٦٢ .

(٥) تهذيـــب اللغة (خسر) ٧/ ١٦٣ من قول الزَّجَّاج ، وهو في معاني القرآن ٥/ ٢٩٧ ، ســـورة المطففين ، وقد ضُبطت هـــذه الكلمة في كتاب الزَّجَّاج : يَخسرون ، وضُبطـــت في تهذيب اللغة : يَخْسَرون ، وفي الحاشـــية ، في (ج) : بتشديد الســـين ، ثم قال بعدَ ذلك الزَّجَّاج : ولا أعلم أحداً قرأ في هذا الموضع : يَخسرون ، ولم تضبط . وفي تهذيب اللغة ٧/ ١٦٣ ، في الحاشية ، في (ج) : بكسر الخاء والسين المشددة . فلعل هذا أقرب ما يكون في ضبط هذه الكلمة ، والله أعلم .

(٦) تفســـير مجاهد ٢/ ٤٦٥ ، وتفســـير مقاتـــل ٥٤أ ، وأخرجه ابـــن جرير ١٩/ ١٠٩ ، وابـــن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٢ عن مجاهد . وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٦أ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٠ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٢١٩ .

(٨) أنشـــده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٠ ، غير منســـوب ، وهو كذلك عند الثعلبي ٨/ ١١٦أ ، ونسبه الماوردي ٤/ ١٨٦ ، إلى امرئ القيس ، وفيه : (في ما يمر) ، بدل : (مما يمر) ، ولم أجده في ديوان امرئ القيس . وذكره الطبرسي ٧/ ٣١٦ ، ولم ينسبه . وفي حاشية البحر ٧/ ٢٩ أهتدِ إلى قائله .

ونذكر اللغات فيها عند قولـه : ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس :٦٢] إن شاء الله تعالى . قال المفسرون : يعني الأمم الخالية[١] .

١٨٥. قوله : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ فسَّرناه في هذه السورة[٢] .

١٨٦. قوله : ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ؛ أي في أنك رسول الله[٣] .

١٨٧. قولـه : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مُفسَّر في قوله : ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء :٩٢] .

قوله : ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ؛ أي بأن العذاب نازل بنا ، قاله مقاتل[٤] .

١٨٨. ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ : يعني من نقصان الكيل والوزن[٥] .

والمعنـى أنه أعلم به ؛ فهـو مجازيكم ومعذبكم إن شـاء ، وليس عندي من العذاب ، وما عليَّ إلا الدعوة[٦] ؛ وذلك أن هذا جواب لقولهم : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٤أ .
(٢) عند قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء :١٥٣] في قصة نبي الله صالح عليه السلام .
(٣) تفسير مقاتل ٥٤ب .
(٤) تفسير مقاتل ٥٤ب .
(٥) تفسير مقاتل ٥٤ب .
(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٦أ .

١٨٩. قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: مضى تفسير الظلة في سورة البقرة[١]. وهاهنا سحاب[٢] أظلتهم فاجتمعوا تحتها مستجيرين[٣] بها مما نالهم من حر ذلك اليوم، ثم أطبقت عليهم، وكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً[٤].

قال ابن عباس: بعث الله عليهم وَقَدَةً وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بَرْداً، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أسقطها الله عليهم ناراً[٥]، وهذا قول أكثر المفسرين[٦].

وروي عن ابن عباس أنهم لمَّا صاروا تحت السحابة أسقطها الله عليهم. وقال زيد بن معاوية: لمَّا اجتمعوا تحتها صيح بهم منها فهلكوا[٧].

---

(١) قال الواحدي في تفسير قوله الله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧]: الظل في اللغة، معناه: الستر، يقال: لا أزال الله عنَّا ظل فلان؛ أي ستره، وظل الشجرة سترها، ويقال لظلمة الليل: ظل؛ لأنها تستر الأشياء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

(٢) هكذا في النسخ جميعها: (سحاب)، وأيضاً عند الزَّجَّاج في المعاني ٤/ ٩٨، ولعل الصواب: (سحابة)، والله أعلم. انظر: النسخ للتأكد.

(٣) في (أ) غير واضحة، وفي تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٦: يعني: ظل العذاب الذي أتاهم.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٨ بنصه، ثم قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: «ولو كان في غير القرآن لجاز عظيماً، والجر أجود كما جاء به القرآن».

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٠، وفيه: (بعث الله عليهم ومدة وحراً شديداً). بدل: (وقدة). أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٤ بلفظ: (وهدة). في تهذيب اللغة (وقد) ٩/ ٢٤٩: يقال: وقدت النار تَقِد وُقُوداً وَوَقَداناً ووَقْداً وقِدَةً، وفي لسان العرب ٣/ ٤٦٥: الوَقَدُ: نفس النار.

(٦) تفسير مقاتل ٥٤ب. وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/ ٧٥ عن مجاهد، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٠ عن قتادة، ومجاهد، وابن جريج، والضحاك، وابن زيد. وذكره الثعلبي ٨/ ١١٦أ.

(٧) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٩ بلفظ قريب منه.

وقال عطاء عن ابن عباس : بعث الله عليهم سَمُوماً[١] ، فخرجوا إلى الأيكة يستظلون بها ، فأضرمها الله عليهم ناراً فاحترقوا[٢] .

١٩٢. قولــه : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ : يعني القــرآن[٣] . قال ابن عباس : نَزَّل القرآنَ ربُّ العالمين .

١٩٣. ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ ؛ أي نَزَّل الله بالقرآن جبريل[٤] .

وتقرأ : ﴿نَزَلَ﴾ مخففة ، و(الروحُ الأمين) رفعاً[٥] ؛ فمن شدَّد فحجته قوله : ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، وقوله : ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة :٩٧] ، وقوله : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [النحل :٢] ، وينزل مطاوع نَزَّل ، ومن أسند الفعل إلى الروح وخفف ؛ فلأنه ينزل بأمر الله سبحانه وتعالى ، ومعناه معنى المثقلة[٦] .

---

(١) السَّمُوم : الريح الحارة . لسان العرب (سمم) ١٢/ ٣٠٤ ، قال تعالى : ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ :[الواقعة :٤١ ، ٤٢] .

(٢) قال أبو السعود ٦/ ٢٦٣ : «هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله ﷺ لصرفه عن الحرص على إسلام قومه ، وقطع رجائه عنه ، ودفع تحسره على فواته تحقيقاً لمضمون ما مَرَّ في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾» .

(٣) تفسير مقاتل ٥٤ب ، وتنوير المقباس ٣١٤ ، وتفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٠ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١١١ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٧ عن قتادة . وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٦ب .

(٤) تنوير المقباس ٣١٤ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٨٦ ، قال ابن كثير ٦/ ١٦٢ : «وهذا مما لا نزاع فيه» .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية حفص : (نَزَل) خفيفة (الروحُ الأمين) رفعاً ، وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : (نَزَّل) مشددة (الروحَ الأمين) نصباً . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٣٨ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٦ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٩ .

و(الـــروح الأمين) هو جبريل[١] . قال ابن عبـــاس : أمين في ما بين الله وبين أنبيائه ، وقال مقاتل : أمين في ما استودعه من الرسالة إلى أنبيائه[٢] .

١٩٤. وقوله : ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ . قال مقاتل : يقول : لتثبت قلبك[٣] ، والمعنى : نَزَل به الروحُ الأمين فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك[٤] .

وقال أبو إسحاق : نزل فوعاه قلبك وثبت فيه فلا تنساه أبداً[٥] . ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [ممن أنذر المكذبين بآيات الله][٦] .

١٩٥. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد لسان قريش ليفقهوا ما فيه ، فلا يقولوا : لا نفهم ما يقول محمد[٧] ، وقال ابن بريدة : بلسان جُرْهُم[٨] .

قال [ابن عباس :][٩] كان في ســفينة نوح ثمانون ، وفيهم : جُرْهُم ، ولسان جُرْهُم هو لسان العرب[١٠] .

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/ ١١٢ ، وأخرجه أيضاً عن قتادة والضحاك .

(٢) تفسير مقاتل ٥٤ب .

(٣) تفسير مقاتل ٥٤ب .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/ ١١٢ بنصه .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٠ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٧) تفسير الوســيط ٣/ ٣٦٢ ، وتفســير البغوي ٦/ ١٢٧ ، وتفســير مقاتل ٥٤ب ، وليس فيه : بلسان قريش .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٨ : ويعرف بجرهم .

(٩) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٩٠ .

١٩٦. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وإنَّ ذكرَ القرآن وخبرَه لفي كتب الأولين[١]، يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي ﷺ المبعوث في آخر الزمان[٢]. وقال مقاتل: وإنَّ أمرَ محمد، وذكرَه، ونعتَه[٣] لفي كتب الأولين[٤]، وهذا كقوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧][٥]. والزُّبُر: الكتب، زَبُورٌ وزُبُرٌ، مثل: رَسُولٌ ورُسُلٌ[٦].

١٩٧. قولـه: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قرأه العامَّة: ﴿يَكُن﴾ بالياء ﴿ءَايَةً﴾ نصباً[٧].

قال أبو إسحاق: (أنْ) اسم كان، و(آيةً) خبره، والمعنى: أو لم يكن لهم[٨] عِلْم علماء بني إسرائيل أن النبي ﷺ حق وأن نبوته حق. (آيةً)؛ أي علامة[٩] موضحة؛ لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذكر النبي ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل[١٠].

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٦ ب.

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/ ١١٢ بمعناه.

(٣) (ونعته) في نسخة (ج).

(٤) تفسير مقاتل ٥٤ ب.

(٥) وقد استدل بالآية على ذلك الزَّجَّاج ٤/ ١٠٠.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٠، قال أبو عبيدة ٢/ ٩٠: «أي كتب الأولين، واحدها: زبور».

(٧) كلهم قرأ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ بالياء ﴿ءَايَةً﴾ نصباً، غير ابن عامر فإنه قرأ: (أَوَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ) بالتاء (آيةٌ) رفعاً. انظر: السبعة في القراءات ٤٧٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٣٨، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٦، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٩، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٦.

(٨) (لهم) في نسخة (ج).

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٠.

(١٠) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠١، وأخرج نحوه عبدالرزاق ٢/ ٧٦ عن قتادة.

قال ابن عباس في رواية الكلبي : بعث أهلُ مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ ، فقالوا : إنَّ هذا لزمانُه ، وإنَّا نجد في التوراة نعتَه وصفتَه . فكان ذلك آية لهم على صدقه[١] ، فعلى هذا أراد بعلماء بني إسرائيل يهود المدينة ومن كان منهم عالِماً بالكتاب .

وقال مقاتل : يعني : ابن سلام وأصحابه[٢] .

وقال مجاهد : علماء بني إسرائيل ؛ عبدالله بن سلام ، وغيره من علمائهم[٣] .

وقال عطية في هذه الآية : كانوا خمسة : عبدالله بن سلام ، وابن يامينَ ، وثعلبة ، وأسد ، وأَسِيد[٤] .

قرأ ابن عامر : (تَكُنْ) بالتاء ، ﴿ءَايَةً﴾ رفعاً . قال أبو إسحاق : جعل (آيةٌ) هي الاسم ، و(أن يعلمه) خبر تكن[٥] ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٦] . قال أبو علي : إذا اجتمع في باب : كان ، معرفة ونكرة ، فالذي يُجعل اسم كان منهما : المعرفة ، كما كان المبتدأ : المعرفة ، والنكرة : الخبر ، وهو يجيء في الشعر للاضطرار ؛ الاسم : نكرة ، والخبر : معرفة ، ولا يجوز هذا حيث لا يُضْطرُّ إليه تصحيحُ وزنٍ ، ولا إقامةُ قافيةٍ ، فقوله : (أو لم تكن لهم آية) لا يجوز أن يكون التأنيث في (تكن)

---

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٦ب ، وعنه ابن عطية ١١/ ١٤٩ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٩ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٤ ، من دون نسبة ، وهو في تنوير المقباس :٣١٤ بمعناه .

(٢) تفسير مقاتل ٥٤ب .

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٦ ، وفيه زيادة : (من أسلم منهم) . وتفسير ابن جرير ١٩/ ١١٢ ، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٠ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٩ ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن سعد ، وابن المنذر . الدر المنثور ٦/ ٣٢٣ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠١ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٣ .

لأنه حينئذٍ يصير اسـمًا لكان ، ولكن في (تكن) ضمير القصة ، و(آيةٌ) خبر مبتدأ مقـدم ، والجملة في موضع نصب كما تقول : كان زيـدٌ منطلقٌ ، على معنى : كان الأمر هذا ، وكان الشأن هذا ؛ فاسـم كان ضمير مستتر ، وارتفع زيد بالابتداء ، ومنطلق : خبره ، والجملة في موضع نصب بكونها خبراً .

قال : ومن ذلك قول الشاعر :

وَلَا أُنْبَـأَنَّ أنَّ وجـهَـكِ شـأنهُ خُمُـوشٌ وإنْ كانَ الحميمُ حميمُ[1]

ذكر هذا في كتاب الإيضاح ، ونحو هذا ذكر في كتاب الحجة[2] ، وزاد في هذا الفصل بأن قال : (آيةٌ) مرتفعة بأنها خـبر الابتداء الذي هو : ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ، وقـال : ولا يمتنع أن لا تضمـر[3] القصة ، ولكن ترفع : ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بقولـه : (تكن) ، وإن كان في تكن علامة تأنيـث ؛ لأن ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في المعنى هو الآية ، فيحمل الكلام على المعنى كما حُمل على المعنى في قوله : ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام :١٦٠] ، فأُنث لَمَّا كان المراد بالأمثال : الحسنات . وكذلك قرأ من قرأ : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ [الأنعام :٢٣][4] .

---

(١) أنشده أبو علي في الإيضاح العضدي ١/ ١٤٣ ، غير منسوب ، وأنشده أبو زيد في النوادر ١٢٦ ، ونسبه إلى عبد قيس بن خُفَاف البُرْجَمِي . وفي حاشـية الإيضاح : الشـاهد فيه : «أنه جعل اسـم كان ضمير الشأن ، والحميم مبتدأ ، وحميم خبره ، والجملة في موضع نصب خبر كان» .

(٢) ملخص من كتاب الإيضاح العضدي ١/ ١٣٦-١٤٣ ، والحجة ٥/ ٣٦٩ .

(٣) هكذا في كتاب الحجة : (ألا يضمر) ، فتراجع .

(٤) الحجة للقراء السـبعة ٥/ ٣٧٠ . قرأ حمزة والكسـائي : (يكن) بالياء ، وقرأ الباقون : (تكن) بالتاء ، وقـرأ ابن كثير وابن عامر وحفص : (فتنتُهم) برفع التاء ، وقرأ الباقون بالنصب . انظر : السـبعة في القراءات ٢٥٤ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

١٩٨-١٩٩ . قوله : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ . قال الكلبي : على رجل عجمي[(١)] ، والمعنى : ولو نزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ بغير لغة العرب ما آمنوا به ، وقالوا : ما نفقه قولك نظيره قوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت :٤٤] . قال مقاتل : يقول : لو نزلنا هذا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه على كفار مكة لقالوا : ما نفقه قولك[(٢)] .

قوله : ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ : يعني بالقرآن مصدقين بأنه من الله[(٣)] ، وفيه قول آخر : روى داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت واقفاً مع عبدالله بن مطيع بن الأسود بعرفات ، فقرأ هذه الآية : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ ، قال : لو نزل على جملي هذا فقرأ عليهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾[(٤)] ، وهذا القول أليق بما بعده .

قال أبو إسحاق : (الأعجمين) جمع أعجم ، والأنثى عجماء ، والأعجم الذي لا يفصح ، وكذلك الأعجمي ، فأمَّا العَجَمِي فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح[(٥)] .

---

(١) في تنوير المقباس :٣١٤ : «على رجل لا يتكلم بالعربية» .

(٢) تفسير مقاتل ٥٥أ ، واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٦٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٤ من طريقين ، وكذا ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٠ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٣ بمعناه ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٥٦ .

قال أبو علي الفـــارسي : أعجم صفة[١] كأحمر ؛ لأنه قد وُصف به في النكرة ، وهو قوله :

. . .كما أَوتْ حِـــزقٌ يمانيةٌ لأعـــجمَ طِمْطِمِ[٢]

وقد دخلته الألف واللام على حد دخولها على أحمر ، للتعريف في قولهم : زياد الأعجم ، فقد علمـــت لجريه على النكرة ، ودخول لام التعريف عليه أنه صفة في النكرة ، مثل أحمر ، وفي التعريف بمنزلة : الأحمر ، وإذا كان كذلك ثبت أنه صفة ، وإذا علمت أنه صفة علمـــت أن جمعه بالواو والنون ، واليـــاء والنون[٣] خطأ ، وإذا كان هـــذا القبيل من الصفة لا يُجمع بالواو والنون في قول النحويين أجمعين ، علمتَ أن قول أبي إسحاق : الأعجمين جمع أعجم ، [والأنثى][٤] عجماء ، خطأ بيِّن ، والقول فيه : أنـــه جمع أعجمي ليس جمع أعجم ، وأعجم وأعجمي معناهما واحد ، وكلاهمـــا وَصْف الذي لا يُفصـــح من العجم كان أو مـــن العرب ، إلا أن الذي تدخله ياء التشـــديد ينصرف ، وإنْ كان المعني فيـــه الصفة[٥] ، [كما أن

(١) كلمة : (صفة) ، مكررة في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) هكذا أنشده أبو علي . الإغفال لما أغفله الزَّجَّاج ٢/ ٢١٣ب . والبيت لعنترة من معلقته ، وصدره كما في الديوان ٢٠ :

تأوي له قُلُصُ النعامِ كما أوتْ

ورواية البيت في شرح التبريزي ١٦٢ :

يأوي إلى حِزقِ النَّعامِ كَما أوتْ

وقـــال في شرحه : يأوي هذا الظليم إلى حزق النعام ، وهـــي : جماعاتها ، واحدتها : حزقة ، وحزيقة ، والطمطم : الذي لا يفصح شيئاً ، شبه النعام حول هذا الظليم بقوم من اليمن حول رجل من العجم يســـمعون كلامه ، ولا يفهمونه ، وخص أهل اليمن لقربهم من العجم ، يعني : الحبش ، وملابستهم لهم .

(٣) غير واضحة بالنســـخ ، ولعل الصواب ما ذكره أبو علي في كتاب الشـــعر ١/ ١٥٦ : (كما أن عجماء لا تجمع بالألف والتاء) .

(٤) ما بين المعقوفين من كتاب أبي علي .

(٥) (الصفة) ، في نسخة (أ) و(ب) .

صياقلــة[١] ونحوه لمَّا دخله تاء التأنيث انصرف للتاء ، والمعنى : معنى الجمع][٢] فأعجمــي كقولهم : أحمري ، وأنت تريد الأحمر ، كــما لا تريد بكرسي إضافتَه إلى شيء ، وهذا مروي مأخوذ من رواة اللغة ، يدلك على ذلك قول العجاج :

والدَّهرُ بالإنسانِ دَوَّارِيُّ[٣]

ألا ترى أن المراد بدَوَّارِي : دوارٌ واحد ، كذلك أعجم وأعجمي[٤] . والذي قلنا من أن الأعجمين جمع أعجمي هو قول سيبويه ، وقد نص عليه[٥] ، وذهب أبو إسحاق عنه[٦] . قال سيبويه في الباب المترجم : هذا بابٌ من الجمع بالواو والنون ، [وتكسير الاسم . سألت الخليل عن قولهم : الأَشْعَرُون ، فقال : إنما أَلحقوا الواو والنون][٧] وحذفوا ياء الإضافة كما كَسَّروا فقالوا : الأشاعرُ ،

---

(١) الصَّقْل : الجلاء ، والمِصقلة التي يصقل الصَيْقَل بها سـيفاً ونحوه ، وجمع الصيقل : صياقل وصياقلة . تهذيب اللغة (صقل) ٨/ ٣٧٢ .

(٢) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

(٣) أنشده ابن جرير ١٩/ ١١٤ منسوباً إلى العجاج ، وقال بعده : «ومعناه : دوار ، فنسبه إلى فعل نفسه» ، وأنشده أبو علي في كتابه الإغفال ١١٤ب منسوباً إلى العجاج . وصدر البيت كما في الديوان ٢٤٧ :

أَطَرَبَاً وأنت قِنَّسْرِيُّ . . . .

قال محقق الديوان : القنسري : المسـن الكبير ، ودواري : دائر ، يقول : إن الدهر يتصرف بالإنسـان ويدور به ، يقول : كيف تطرب وأنت كبير يوبخه بذلك ، وإنما يصبو فيعذر الصبي ومن لا سن له ولا تجربة عنده .

(٤) قال ابن جرير ١٩/ ١١٤ : «إذا أريد به نسـبة الرجـل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسـان ، فإنه يقال : هذا رجل عجمي ، وهذان رجلان عجميان ، وهـؤلاء قوم عَجَم ، كما يقال : عربي ، وعربيان ، وقوم عَرَب ، وإذا قيل هذا : هذا رجل أعجمي ، فإنما نسـب إلى نفسـه ، كما يقال للأحمر : هذا أحمريٌّ ضخم» .

(٥) وذهـب إلى ذلك الأخفش في معاني القرآن ٢/ ٦٤٧ ، فقد قـال : «واحدهم : الأعجم ، وهو إضافة كالأشعرين» ، وذكر السمين الحلبي الأقوال المؤيدة لذلك . الدر المصون ٨/ ٥٥٤ .

(٦) يعني غفل عنه أبو إسحاق فلم يذكره ، والله أعلم .

(٧) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

والأشاعث ، والمَسَامِعة ، فلمَّا كَسَّروا مِسْمَعاً والأشعث حين أرادوا معنى بني مِسْمَع وبني الأشعث أَلحقوا الواو والنون ، فكذلك الأعجمون[١] .

فقد تبيَّنت من نص سيبويه أن الأعجمين جمع أعجمي ، وأن ياءي النسب والإضافة[٢] محذوفان ، حُذفا في الجمع ، وأنه جُمع على هذا [الحد][٣] كما كُسِّر على الأشاعث . ومثل قولهم : الأعجمون ، قولهم : النُّمَيْرُون . ومما يدلك على صحة هذا أن ما كان صفة من هذا القبيل لا يجمع بالواو والنون ، ألا ترى أنه لا يقال في جمع أسود : أسودون ، وإذا كان ذلك مرفوضاً علمت أنه جَمْع الاسم إذا أُلحق ياء النسب ؛ لأنه بدخول ياء النسب يخرج من ذلك الحد في اللفظ ، وإن كان موافقاً له في المعنى ، كما خرج بذلك من الامتناع من الانصراف ، وكما لم يُجمع مذكر هذا القبيل بالواو والنون ، كذلك لم يُجمع مؤنثه ، نحو : حمراء وسوداء ، بالألف والتاء . انتهت الحكاية عن أبي علي[٤] .

وذكرنا تفسير الأعجمي في سورة النحل[٥] .

٢٠٠ . قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ تفسيره كتفسير قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ في سورة الحجر[٦] .

---

(١) الكتاب ٣/ ٤١٠ .

(٢) (الإضافة) . ساقطة من النسخ الثلاث ، وهي في كتاب أبي علي .

(٣) في كتاب أبي علي . «وأنه جمع على هذا كما جمع وكسر على الأشاعث» .

(٤) الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج ٢/ ٢١٣ بشيء من التصرف والاختصار ، حيث أطال أبو علي الحديث عن هذه المسألة .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾ [١٠٣] .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [١٢] .

قال ابن عباس : ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ يريد الشرك سلكه في قلوب المجرمين[١] .

[و][٢] قال الحسن : ﴿سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الشرك جعلناه في قلوب المجرمين[٣] . وهو قول ابن جريج وابن زيد[٤] ، وقال مقاتل : يقول : هكذا جعلنا الكفر بالقرآن في قلوب المجرمين[٥] .

٢٠١. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ : بالقرآن[٦] ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ، فعلى هذا أراد بالمجرمين مشركي مكة ، وعلى قول الحسن وابن عباس أراد : المجرمين من الأمم الخالية . أخبر الله أنه أدخل الشرك ، وجعله في قلوبهم فلم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم . قال ابن عباس في قوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾الآية ، قال : لا يصدقون بتوحيد الله ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ الذي أهلكهم الله به مما قص من لدن نوح إلى شعيب . وعلى التأويلين جميعاً في الآية دلالة على أن الله تعالى خالق الشرك ، سالكه في قلوب المجرمين .

قال الفرَّاء : يقول سلكنا التكذيب في قلوب المجرمين كيلا يؤمنوا به[٧] .

---

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٦ ، وذكره ابن الجوزي ٤/ ٣٨٥ ، في تفسير سورة الحجر عن ابن عباس .

(٢) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٥ ، ولفظه : «الشرك سلكه في قلوبهم» .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٥ عن ابن جريج ، وابن زيد .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥أ ، قال ابن قتيبة : «﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ يعني : التكذيب ، أدخلناه» . غريب القرآن ٣٢١ ، راجع للحديث عن هذه الآية تفسير سورة [الحجر :١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ . انظر : متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار ٤٢٥ ، وكذا تفسير هذه السورة عند الهوساوي .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٣ .

وقال أبو إسحاق : أي سلكنا تكذيبهم في قلوبٍ جعل الله مجازاتِهم أن طبع على قلوبهم وسلك فيها الشرك[١] .

قوله تعالى : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ . قال : أخبر أنه لَمَّا سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمان به[٢] . وتفسير القدرية لقوله : ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ : أمررنا القرآن في قلوبهم بإخطاره ببالهم لتقوم الحجة عليهم[٣] . وهذا التفسير خَلْفٌ[٤] فاسد لم يقله أحد من المفسرين ، ولا أصحاب المعاني إلا القدرية ، وكيف يصح هذا والله تعالى يقول : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أفتَرَاه سلك القرآن في قلوبهم حتى لا يؤمنوا ؟ وكان من الواجب أن يؤمنوا إذا أدخل الله القرآن في قلوبهم ، ثم السلك ليس بمعنى الإمرار والإخطار ، إنما هو بمعنى الإدخال والإثبات ، كسلك الخيط في الحريرة ، يدل على هذا قوله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر :٤٢] ، لا يجوز أن يقال في معناه : ما أخطركم بها . والهاء في قوله : ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ تعود إلى معنى قوله : ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ ، ومعناه : كذَّبوا ، وكذَّبوا يدل على التكذيب فكنى عنه ، وهو قول المفسرين وأهل المعاني : سلكنا الشرك وسلكنا التكذيب ، فظاهر الآية يدل على صحة قول مقاتل ، وأن هذا إخبار عن مشركي مكة ولو كان خبراً عن مشركي الأمم المتقدمة لقيل : لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فأتاهم بغتة ، وقد قال :

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٢ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٢ .

(٣) بنصه قول الطوسي في تفسيره ٨/ ٦٣ بلفظ : «أقررناه في قلوبهم بإخطاره» ، وهذا تصحيف ، والصواب : (أمررناه) .

(٤) يقال : هذا خَلْفٌ من القول ؛ أي رديء . تهذيب اللغة (خلف) ٧/ ٣٩٤ .

٢٠٢. ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ : يعني العذاب[١] ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ به فيتمنون الرجعة والنَّظِرَة[٢] ، وهو قوله :

٢٠٣. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ ؛ أي لِنعتِب[٣] ونراجع ، قاله مقاتل[٤] .

وقال ابن عباس : إنهم يسألون تأخير العذاب فلا يجابون ولا يصرف عنهم[٥] .

قال مقاتل : فلمَّا أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا : فمتى العذاب تكذيباً به[٦] ، فقال الله تعالى :

٢٠٤-٢٠٥ . ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝٢٠٤ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ . [قال ابن عباس :][٧] ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد إن متَّعْنا كفار مكة ﴿سِنِينَ﴾ . قال : يريد منذ خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي في النعيم والسرور والنَّضارة[٨] .

وقال الكلبي : يعني عَمَّرهم ، وهو معنى قول مقاتل : ﴿سِنِينَ﴾ في الدنيا[٩] .

---

(١) تنوير المقباس ٣١٤ ، وتفسير مقاتل ٥٥أ .

(٢) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٤ ، وتفسير الماوردي ٦/ ١٣٠ ، ولم ينسباه .

(٣) الإعتاب والعتبى : رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب . تهذيب اللغة (عتب) ٢/ ٢٧٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٥أ بلفظ : «فنعتب ، ونراجع» . وفي تفسير ابن جرير ١٩/ ١١٦ : «لنثوب ، وننيب» .

(٥) تنوير المقباس :٣١٤ بلفظ : (مؤجلون من العذاب) .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٨) النضارة : نعيم الوجه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة :٢٢] . تهذيب اللغة (نضر) ١٢/ ٩ .

(٩) تفسير مقاتل ٥٥أ .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ غير متعدٍّ إلى شيء ، إنما هو سؤال واستخبار عن معنى بلفظ الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف :٦٣] دخول الفاء في قوله : ﴿فَإِنِّى﴾ يدل على أنه مستأنف .

٢٠٦. قوله : ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ ؛ أي من العذاب[١] .

٢٠٧. ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ به في تلك السنين ، والمعنى : إنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا[٢] فإذا أتاهم العذاب لم يُغنِ طول التمتع عنهم[٣] شيئاً ، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط[٤] .

٢٠٨. قوله : ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ . قال مقاتل :[٥] أي في ما خلا بالعذاب في الدنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ : يعني رسلًا ينذرونهم بالعذاب أنه نازل بهم[٦] .

٢٠٩. ﴿ذِكْرَىٰ﴾ . قال ابن عباس : موعظة مني .

وقال مقاتل : تذكرة[٧] .

---

(١) تنوير المقباس :٣١٤ وتفسير مقاتل ٥٥أ .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (النساء) .

(٣) (عنهم) . في نسخة (ج) .

(٤) ويشهد لهذا المعنى حديث أَنَس بْن مَالك ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : «يُؤْتَى بِأَنْعَم أَهْل الدُّنْيَا مِنْ أَهْل النَّار يَوْمَ الْقِيَامَة ، فَيُصْبَغُ فِي النَّار صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَالله يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاس بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْل الْجَنَّة ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّة ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَالله يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» . أخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٢ ، كتاب : صفة القيامة ، رقم ٢٨٠٧ ، وابن ماجه ٢/ ١٤٤٥ ، كتاب : الزهد ، رقم ٤٣٢١ .

(٥) (قال مقاتل) . في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥أ ، ولفظه : «العذاب يذكر ، ويفكر» .

قال أبو إسحاق : ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تكون[١] نصباً ورفعاً ، فمن نصب فعلى المصدر ، ودلَّ عليه الإنذار ؛ لأن قوله : ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ معناه : إلا لها مذكرون ذكرى ، قال : ويجوز أن تكون في موضع رفع على معنى : إنذارنا ذكرى على خبر الابتداء[٢] ، وهذا معنى قول الفرَّاء ؛ فقد ذكر[٣] القولين مجملاً[٤] .

قوله : ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ . قال مقاتل : وما كنَّا ظالمين فنعذب على غير ذنب[٥] .

وقال غيره : ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ إذ أُهلكوا ؛ لأنَّا قدَّمنا الإنذار والتذكير[٦] .

٢١٠. قوله تعالى : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ . قال مقاتل : قالت قريش : إنما يجيء بالقرآن الشيطان فيلقيه على لسان محمد فأنزل الله : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [يعني : القرآن[٧] .

وهذه الآية منتظمة بقوله : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ ؛ أي نزل بالقرآن جبريل ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾][٨] كما يزعم المشركون .

---

(١) (تكون) . في نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٢ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) ، زيادة (إلا لها مذكرون ذكرى) ، قال : ويجوز أن تكون في موضع رفع . وهي تكرار لما سبق من قول أبي إسحاق .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٤ ، وذكرهما أيضاً ابن جرير ١٩/ ١١٧ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٧أ ، ولم ينسبه .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥أ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٧ عن قتادة .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

٢١١. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ أن ينزلوا بالقرآن[١] . قال ابن عباس : لأن الشياطين لا يقوون[٢] على قراءة القرآن ، ولا يحتملونه إلا احترقوا ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ؛ أي لا يقوون على حمل القرآن ، وقال الكلبي : يقول : وما هم أهلٌ للقرآن ، وما يقدرون أن يأتوا بالقرآن من السماء فقد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب[٣] ، وهو قوله :

٢١٢. ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد عن استماع القرآن لمحجوبون . قال الكلبي : لأنهم يرجمون بالنجوم[٤] ، وقال الزَّجَّاج : لَمَّا رموا بالنجم منعوا من السمع[٥] .

٢١٣. قوله : ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ . [قال ابن عباس : يُحَذِّر به غيره][٦] . قال مقاتل : وذلك حين دُعِي إلى دين آبائه فأنزل الله : ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ؛ أي لا تعبد معه إلهاً آخر[٧] ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ . [قال ابن عباس : يحذر به غيره][٨] يقول : أنت أكرم الخلق عليَّ ، ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك[٩] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٥أ بنصه .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) (يقولون) .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥أ بمعناه . قال ابن جرير ١٩/ ١١٧ : «لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء» .

(٤) ذكره الهوَّاري ٣/ ٢٤٢ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٣ ، ونحوه في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٥ .

(٦) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) ، وهو في تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٤ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥أ ، وتنوير المقباس ٣١٤ ، تفسير ابن جرير ١٩/ ١١٨ .

(٨) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ج) .

(٩) ذكره ابن الجوزي ٦/ ١٤٧ عن ابن عباس .

٢١٤. قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي رهطك الأدنين وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة[١]، وهم الأقربون، وهاشم والمطلب أخوان ابنا عبد مناف، قاله مقاتل[٢].

وقال ابن عباس: أنذِرهم ألَّا يتخذوا من دوني ربّاً.

وقال الكلبي: لمَّا نزلت هذه الآية صعد رسول الله ﷺ الصفا، ونادى الأقرب فالأقرب، فخذاً[٣]: «يا آل غالب، يا آل لؤي، يا آل كعب، يا آل مُرَّة، يا آل كلاب، يا آل قصي: لا أملك لكم من الله شيئاً إلَّا أن تقولوا: لا إله إلَّا الله، فأنذرهم»[٤].

وقال قتادة: قال لبني هاشم لمَّا نزلت هذه الآية: «ألا إن أوليائي منكم المتقون، ألا فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[٥].

قال مقاتل: لمَّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «إني أُرسلت إلى الناس كافة، وأُرسلت إليكم يا بني هاشم والمطلب خاصة»[٦]، وقالت عائشة رضي الله عنها: لمَّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ، فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»[٧].

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٤.

(٢) تفسير مقاتل ٥٥أ.

(٣) في النسخ الثلاث: (فخذاً). مرة واحدة. وقد أخرجه مكرراً عبد بن حميد عن قتادة. الدر المنثور ٦/ ٣٢٦.

(٤) تفسير الهوَّاري ٣/ ٢٤٢ عن الكلبي.

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٧، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٢٢.

(٦) تفسير مقاتل ٥٥أ.

(٧) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٨، والترمذي ٥/ ٣١٦: كتاب تفسير القرآن، رقم ٣١٨٤، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال أبو هريرة : لَمَّا نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ جعل يدعو بطون قريش بطناً بطناً ؛ يا بني فلان : «أنقذوا أنفسكم من النار» حتى انتهى إلى فاطمة ، فقال : «يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها»(١) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : صعد رسول الله ﷺ على الصفا ، فقال : «يا صباحاه(٢) فاجتمعت إليه قريش ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : بلى ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»(٣) .

٢١٥. قوله : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : جانِبَك لمن اتبعك من المؤمنين(٤) . وذكرنا تفسير خفض الجناح في سورة بني إسرائيل(٥) . قال ابن عباس : يريد أكرِم من اتبعك من المصدقين بتوحيد الله ، وألِنْ لهم القول ، وأظهِر لهم المحبة والكرامة .

---

(١) عن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ : «لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دَعَا رسول الله ﷺ قُرَيْشاً فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ ، فَقَالَ : يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا» . أخرجه مسلم ١/ ١٩٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢٠٤ ، وأخرج نحوه البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٧١ ، الفتح ٨/ ٥٠١ ، البلال : الماء . ومعنى الحديث : سأصلها ؛ شُبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة . شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٨٠ .

(٢) تقول العرب إذا نَذِرَت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحاً : يا صباحاه ، يُنذرون الحيَّ أجمع بالنداء العالي . تهذيب اللغة (صبح) ٤/ ٢٦٦ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٥ .

(٤) تنوير المقباس ٣١٤ ، ومجاز القرآن ٢/ ٩١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٦ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [٢٤] .

٢١٦. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ . قال ابن عباس : يريد عشيرتك ، وقال مقاتل : يعني بني هاشم وبني المطلب . ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي من الكفر وعبادة غير الله[١] .

والآية دليل على أن موالاة المشرك حرام بكل حال ؛ ألا ترى كيف أمر الله رسوله في عشيرته الأقربين .

٢١٧. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . قال الكلبي : فوِّض إليه جميع أمرك ، وقال مقاتل : ثق بالله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في نقمته[٢] ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة[٣] .

٢١٨-٢١٩ .قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ؛ أي للصلاة وإلى الصلاة ، قاله ابن عباس والكلبي[٤] ، وقال مقاتل : حين تقوم وحدك إلى الصلاة[٥] ، وقال مجاهد : الذي يراك أينما كنت ، يعني : يراك حين تقوم أينما كنت[٦] .

فعلى قول مجاهد : ﴿تَقُومُ﴾ عام في كل شيء قام إليه ، وهو الظاهر ؛ لأنه بمرأى من الله إلى أي شيء قام[٧] . وعلى قول الآخرين : هذا القيام يختص بالقيام

---

(١) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٢) تنوير المقباس ٣١٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٧ عن ابن عباس . وتنوير المقباس ٣١٥ ، واقتصر في الوجيز ٢/ ٧٩٨ على قول : «إلى صلاتك» .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٨ عن الحسن .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٨ ، وأخرج نحوه عن الضحاك ، وعكرمة ، وقتادة .

(٧) وهذا المعنى أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٤ عن ابن عباس من طريق عطاء الخراساني : «يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم» .

إلى الصلاة ، وفائدتــه : التنبيه على تعظيم الصلاة ، كما يقول القائل لغيره : راقب مَنْ يراك إذا صلَّيت ، والله تعالى يراه إذا لم يكن مصلياً .

قوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ . قال مقاتل : يعني : ويرى ركوعك وسجودك وقيامك . وهو التقلب في الساجدين يعني : مع المصلين في الجماعة[١] ، والمعنى : يراك إذا صلَّيت وحدك ، ويراك إذا صلَّيت في الجماعة راكعاً وساجداً وقائماً . وهو قول عكرمة ، والكلبي ، وقتادة ، وابن زيد ، ورواية عن عطية وعطاء الخراساني ، عن ابن عباس[٢] ، كل هؤلاء فسَّروا التقلب في الساجدين بالتصرف مع المصلين قائماً وراكعاً وساجداً ، وهو اختيار الفرَّاء ، قال : تقلبه : قيامه وركوعه وسجوده وقعوده[٣] .

وقال ابن عباس في رواية جويبر عــن الضحاك عنه : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ في أصــلاب الآباء ؛ آدم ونوح وإبراهيم ، ونحو هــذا روى عطاء وعكرمة عنه : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ يريد : في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك . في هذه الآية قال عطاء عنه : ما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه[٤] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٥ب ، وتنوير المقباس ٣١٤ ، قال مجاهد : «في المصلين» . تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٦ .

(٢) أخرجــه عبدالرزاق ٢/ ٧٧ عن قتــادة وعكرمة ، وأخرجــه ابن جرير ١٩/ ١٢٣ عــن ابن عباس وعكرمــة ، وذكره الثعلبــي ٨/ ١١٨أ عن عكرمــة ، وعطية ، وعطــاء عن ابن عبــاس ، وقتادة ، وابن زيد ، ومقاتل ، والكلبي .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٥ ، واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٧٩٨ .

(٤) تنوير المقبــاس ٣١٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتــم ٩/ ٢٨٢٨ من طريق عكرمة وعطــاء وذكره كذلك الثعلبــي ٨/ ١١٩ب . قال الطوسي : «وقال قوم من أصحابنا : إنــه أراد تقلبه من آدم إلى أبيه عبدالله في ظهــور الموحديــن ، لم يكن فيهم من يســجد لغــير الله» . التبيان للطــوسي ٨/ ٦٨ ، ولم يعترض ابن كثير على ذلك . وهذا يعارضه كون أبــوي النبي ﷺ كافرين ، بدليل حديث أَنَس أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُــولَ الله ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : «فِي النَّارِ ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» . أخرجه مسلم ١/ ١٩١ ، كتــاب : الإيمان ، رقم ٢٠٣ ، وأبو داود ٥/ ٩٠ ، كتاب : السـنة ، رقم ٤٧١٨ ، وحديث =

وقال الحسن : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ يعني : ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين[١] ، وقال مجاهد في هذه الآية : كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة أبصر مَنْ خلفه من الصفوف كما يرى مَنْ بين يديه[٢] ، وعلى هذا معنى : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ إبصارك منهم[٣] مَنْ هو خلفك كما تبصر مَنْ هو أمامك . يدل على هذا ما روى قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «أتموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم»[٤] .

٢٢٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولك : ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلبك من الإيمان واليقين[٥] ، وقال مقاتل : ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لما قالوا حين دعوه إلى دين آبائه ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بذلك .

= أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا ، فَأَذِنَ لِي» . أخرجه مسلم ٢/ ٦٧١ ، كتاب : الجنائز ، رقم ٩٧٦ ، وأبو داود ٣/ ٥٥٧ ، كتاب : الجنائز ، رقم ٣٢٣٤ .

وقد ردَّ هذا القول الشنقيطي من وجه آخر ، فقال : «في الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول ، وهي قوله تعالى قبله مقترناً به : ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ، فإنه لم يقصد به أنه يقوم في أصلاب الآباء إجماعاً ، وأول الآية مرتبط بآخرها ؛ أي الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، وحين تقوم من فراشك ومجلسك ، ويرى تقلبك في الساجدين ؛ أي المصلين ، على أظهر الأقوال» . أضواء البيان ٦/ ٣٨٨ .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٤ بلفظ : «﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ . قال : في الناس» .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٩ ، وذكره الهوَّاري ٣/ ٢٤٣ ، ولم ينسبه .

(٣) (منهم) في نسخة (ج) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، رقم ٤١٩ ، الفتح ١/ ٥١٤ ، ومسلم ١/ ٣١٩ ، كتاب : الصلاة ، رقم ٤٢٥ ، وهذا الحديث يدل على صحة المعنى الذي ذكره مجاهد ، لكنه لا يدل على أن المراد من الآية هو هذا التفسير ، والله أعلم . قال ابن عطية ١١/ ١٥٩ عن هذا القول : «وهذا معنى أجنبي هنا» . ولم يرجح الواحدي شيئاً من هذه الأقوال ، ولعل الأقرب ما رجحه ابن جرير ١٩/ ١٢٥ من أن المراد : يرى تقلبك مع الساجدين في صلاتك معهم . والله أعلم .

(٥) قال الثعلبي ٨/ ١١٨ب : «﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لقراءتك ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بعملك» .

ثم قال لكفار مكة[١] :

٢٢١. ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ، ثم أنبأ ، فقال[٢] :

٢٢٢. ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : كل كذَّاب فاجر[٣] . قال الكلبي : مثل مسيلمة وطليحة[٤] . وكان لكل كاهن منهم تابع من الجن يأتيه بما يستمع من السماء .

وقال قتادة : هم الكهنة تسترق الجن السمع ، ثم يأتون[٥] إلى أوليائهم من الإنس[٦] ، وقال أبو إسحاق : قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، ثم قال : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ ، ثم قال : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ﴾ كالمتصل بهذا ، ثم أعلم أن الشياطين على من تنزل فقال : ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٥ب .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٤ .

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٧ ، ولفظه : «كذاباً من الناس» . وقال مقاتل ٥٥ب : «يعني : كذاب» .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٨ب بنصه منسوباً إلى مقاتل . وفي تفسير مقاتل ٥٥ب : «منهم مسيلمة الكذاب ، وكعب ابن الأشرف» ، وهو في تنوير المقباس ٣١٥ بلفظ : فاجر كاهن ، وهو مسيلمة الكذاب وطلحة . فلعل : (طلحة تصحيف : طليحة . يراجع للتعريف بهما) .

(٥) في نسخة (ج) : (يلقون) .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٨ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٢٥ ، ويشهد له حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها : سَأَلَ أُنَاسٌ النبي ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ ، فَقَالَ : «إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذْبَةٍ» . أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، رقم ٧٥٦١ ، الفتح ١٣/ ٥٣٥ ، ومسلم ٤/ ١٧٥٠ ، كتاب : السلام ، رقم ٢٢٢٨ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٤ .

٢٢٣. قوله: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾؛ أي يلقون ما سمعوه إلى الكهنة[١].

وقال الفرَّاء: يلقون إلى كهنتهم السمع الذي سمعوا ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾[٢]؛ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً. وهذا كان قبل أن أوحي[٣] إلى النبي ﷺ، وبعد ذلك: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

قال الكلبي: يستمعون إلى السماء، فيأتون بما استمعوا إلى كهنتهم[٤].

وقال مقاتل: إن الله تعالى إذا أراد أمراً في الأرض عَلِم به أهل السموات من الملائكة، فتكلموا به، فتسمع الشياطين، وترميهم الملائكة بالشهب، فيخطفون الخطْفة، فذلك قوله: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾. قال: معناه: يلقون بآذانهم إلى كلام الملائكة[٥].

وهذا التفسير غير الأول في: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾[٦]، ويشهد لهذا قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، ومعناه: استمع. وقال في قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ يعني الشياطين حين يخبرون الكهنة أنه يكون في الأرض كذا وكذا[٧].

وذكر صاحب النظم قولاً آخر في: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾؛ وهو أنه قال: يعني (كل أفاك أثيم)، وأخرج فعلهم مخرج الجماعة؛ لأن قوله: (كل أفاك) يتضمن

---

(١) قال مجاهد: «الشيطان ما سمعه ألقاه ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾». تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٧، وأخرج نحوه ابن جرير ١٩/ ١٢٦.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٥.

(٣) هكذا في النسخ جميعها.

(٤) تنوير المقباس ٣١٥.

(٥) تفسير مقاتل ٥٥ب.

(٦) هكذا في نسخة (ج): (يلقون السمع). وفي (أ) و(ب): و(يلقون السمع).

(٧) تفسير مقاتل ٥٥ب.

الجمع ؛ أي يستمعون إلى الشياطين ، وعلى هذا قوله : ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ من صفة : (كل أفاك أثيم) .

قال : وقوله﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ ؛ أي الشياطين يخبرونهم بالكذب وهم يسمعون منهم فيقصون به ، فجاء قوله : ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ ، وقوله : (كاذبون) كالمتصل بعضها ببعض ، وهما مختلفان لاختلاف الأسماء فيهما ، يعني أن قوله : ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ من صفة الكهنة ، وقوله : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ من صفة الشياطين[(١)] .

٢٢٤. قوله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[(٢)] : الشعراء جمع الشاعر ، يقال : شَعَر يشعُر شِعراً وشِعرةً إذا علم[(٣)] ، والشعر : القَريض المحدود بعلامات لا يُجاوزها ، وقائله شاعر ؛ لأنه يَشعُر [ما لا يَشعُر][(٤)] غيره[(٥)] ، وجمعه شعراء مثل : جاهل وجهلاء ، وعالم وعلماء[(٦)] .

---

(١) وذهب إلى هذا ابن قتيبة ، فقال في غريب القرآن ٣٢١ : «﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ يسترقونه» .

(٢) عَنْ عِكْرِمَةَ عن ابْنِ عَبَّاس قَالَ : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ فَنَسَخَ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَثْنَى فَقَالَ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . أخرجه أبو داود ٥/ ٢٨٠ ، كتاب الأدب : رقم ٥٠١٦ ، وذكر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حكمة جيدة لذكر الحديث عن الشعراء في هذه السورة ، بعد ذكر قصص من سبق من الأنبياء ، فقال : «فذكر الفرق بينه وبين من قال : تنزل عليه الشياطين ، من الكهان ، والمتنبئين ونحوهم ، وبين الشعراء ؛ لأن الكاهن قد يخبر بغيب بكلام مسجوع ، والشاعر أيضاً يأتي بكلام منظوم يحرك به النفوس ، فإن قرين الشيطان مادته من الشيطان ، ويعين الشيطان بكذبه وفجوره ، والشاعر مادته من نفسه ، وربما أعانه الشيطان ، فأخبر أن الشياطين إنما تنزل على من يناسبها ، وهو الكاذب في قوله ، الفاجر في عمله ، بخلاف الصادق البر ، وأن الشعراء إنما يحركون النفوس إلى أهوائها فيتبعهم الغاوون ، وهم الذين يتبعون الأهواء وشهوات الغي ، فنفى كلًّا منهما بانتفاء لازمه ، وبيَّن ما تجتمع فيه من شياطين الإنس والجن» . تفسير آيات أشكلت ٢/ ٧٢٧ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها : (شعراً وشعرة) . وفي تهذيب اللغة ١/ ٤٢٠ : شَعراً ، وشِعراً .

(٤) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(٥) تهذيب اللغة (شعر) ١/ ٤٢٠ .

(٦) قال الشافعي : «الشعر : كلام منظوم بمنزلة المنثور من الكلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، فإذا =

قال ابن عباس : يريد : المشركين ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ من الشياطين[١] . قوله : يريد المشركين يعني الشعراء المشركين .

وقد ذكر مقاتل أسماءهم ، فقال : منهم : عبدالله بن الزَّبَعرى السهمي ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، ومُسافع بن عبد مناف الجُمحي ، وأبو عزة عمرو بن عبدالله ، كلهم من قريش ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي ، تكلموا بالكذب والباطل ، وقالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وقالوا : الشعر ، واجتمع إليهم غواة من قومهم[٢] يسمعون أشعارهم ، ويروون عنهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه[٣] .

وقال عكرمة : تهاجا شاعران في الجاهلية مع كل واحد فئام[٤] من الناس ، فقال الله عز وجل : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ وهما ذانك الشاعران[٥] . وهذا قول الضحاك في سبب النزول ، وقال : الغواة : السفهاء[٦] .

= قال الرجل شعراً وفيه رفث ، وفحش سقطت عدالته ، وإذا قال شعراً فيه الغزل الذي ليس بمكروه ، أو مَدَح رجلاً قُبلت عدالته» . إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٢ .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٧ .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (قولهم) .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥ب .

(٤) الفئام من الناس : الجماعة . تهذيب اللغة (فأم) ١٥/ ٥٧٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٧ بلفظ : «كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ ، أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين» ، وذكره كذلك الثعلبي ٨/ ١١٨ب . وفي كون ذلك حدث بعد الهجرة إشكال من ناحية كون هذه السورة مكية . قال ابن كثير ٦/ ١٧٥ : «ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مُرسلاتٌ لا يعتمد عليها ، والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم» .

وهي رواية العوفي عن ابن عباس[١] .

وقال عكرمة والشعبي : ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ عصاة الجن[٢] ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية ابن بريدة ، قال : هم الشياطين[٣] وهو قول قتادة ومجاهد : ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ الشياطين[٤] .

وروى عكرمة عنه : ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ الرواة[٥] ، وهو قول الكلبي ، قال : الرواة الذين يروون هِجاء النبي ﷺ ، وكانوا ينحرون لهم الجُزُر[٦] .

وقال الفرَّاء : نزلت في ابن الزَّبَعرى وأشباهه ؛ لأنهم كانوا يهجون النبي ﷺ والمسلمين[٧] يتبعهم غواتهم الذين كانوا يرون سب النبي ﷺ[٨] .

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٧ عن ابن عباس وعكرمة ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٣ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١١٨ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣١ عن عكرمة .

(٣) أخرجه الثعلبي ٨/ ١١٨ب بسنده عن ابن بريدة عن ابن عباس .

(٤) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٧ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٨ عن قتادة ، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٢٧ .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١١٨ب .

(٦) تنوير المقباس : ٣١٥ بلفظ : (الراوون يروون عنهم) .

(٧) (والمسلمين) ، في نسخة (أ) و(ب) ، وهو موافق لما عند الفرَّاء .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٥ ، قال ابن جرير ١٩/ ١٢٧ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يقال : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عَمَّ بقوله : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ ، فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض» .

٢٢٥. قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ . قال أبو عبيد : رجل هائم وهيوم ، وهو الذاهب على وجهه[١] ، وأنشد :

ألا طَرَقَتْ ميٌّ هُيوماً بذكرِهَا[٢]

يقال : هام يهيم هُيوماً وهَيَاماً وهَيْماً[٣] .

قال ابن عباس : في كل فنٍّ من الكذب يتكلمون[٤] .

وقال مجاهد : في كل فنٍّ يفتنون[٥] .

وقال مقاتل : في كل فنٍّ يأخذون[٦] ، وعن ابن عباس أيضاً : في كل لغوٍ يخوضون[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (هام) ٦/ ٤٦٧ ، من كلام أبي عبيد ، من دون ذكر البيت . وفي مجاز القرآن ٢/ ٩١ : «الهائم : هو المخالف للقصد الجائر عن كل حق ، وخير» ؛ «لأن من اتبع الحق ، وعلم أنه يكتب عليه قوله تثبت ، ولم يكن هائماً يذهب على وجه لا يبالي ما قال» . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٩٦ ، وكتبت خطأ في النسخ الثلاث : (أبو عبيدة) .

(٢) شطر بيت نسب إلى ذي الرمة ، وعجزه :

وأيدي الثُّريَّا جنَّحٌ في المغاربِ

(٣) قال أبو عبيد : وقد هام يهيم هُياماً . تهذيب اللغة (هام) ٦/ ٤٦٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٣ بلفظ : «في كل فن من الكلام يأخذون» .

(٥) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥ب .

(٧) ذكره البخاري تعليقاً ، كتاب : الأدب ، الفتح ١٠/ ٥٣٧ ، ووصله ابن جرير ١٩/ ١٢٨ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٣ ، من طريق علي بن أبي طلحة .

وقال قتادة : يمدحون بباطل ويشتمون بباطل[١] . فالوادي مثلٌ لفنون الكلام وأساليبه ، وهيمانهم فيه : خوضهم ، وقولهم على الحيرة والجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم[٢] .

وقال ابن الأعرابي : قال بعضهم : هو وادي الصحراء يخلو فيه العاشق والشاعر [يتفرجان فيه] ، قال : ويقال هو وادي الكلام[٣] ، والله أعلم . وقال الزَّجَّاج : ليس يعني أودية الأرض ، إنما هو مثل لقولهم وشعرهم[٤] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٨ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٢٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٣ .

(٢) تفسير هود الهوَّاري ٣/ ٢٤٤ بمعناه .
وقد ورد في السنة ذم الشعر ، والتحذير من الالتهاء به ، في حديث ابْن عُمَرَ -رضي الله عنهما- عَنِ النبي ﷺ قَالَ : «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً» . أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، رقم ٦١٥٤ ، الفتح ١٠/ ٥٤٨ ، ومسلم ٤/ ١٧٦٩ ، كتاب الشعر ، رقم ٢٢٥٨ .
وهذا محمول على الشعر الباطل ، ويدل لذلك حديث عَائِشَةَ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ : «اهْجُوا قُرَيْشاً فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بالنَّبْلِ» .
فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالك ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِت ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ : قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِه ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي ، فَرْيَ الْأَدِيمِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا تَعْجَلْ ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا ، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَباً حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» .
فَأَتَاهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسول الله ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ : «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ الله وَرَسُولِه» . وَقَالَتْ : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ : «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى» . أخرجه مسلم ٤/ ١٩٣٥ ، كتاب : فضائل الصحابة ، رقم ٢٤٩٠ ، وأصله في البخاري ، كتاب الأدب ، رقم ٦١٥٣ ، الفتح ١٠/ ٥٦٤ .

(٣) تهذيب اللغة (هام) ٦/ ٤٧٧ من دون قوله : يتفرجان فيه . واقتصر على هذا القول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢١ ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٤ .

٢٢٦. قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . قال مقاتل : يقولون : فعلنا وفعلنا وهم كذبة[١] .

وقال أبو إسحاق : هذا دليل على تكذيبهم في قولهم ، يعني أن الله كذَّبهم في ما يقولون ، ثم استثنى شعراء المسلمين ، فقال[٢] :

٢٢٧. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . قال مقاتل والكلبي : هم عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وسائر شعراء المسلمين[٣] .

وقال ابن عباس : استثنى شعراء المهاجرين والأنصار[٤] .

وقال أبو إسحاق : هم الشعراء الذين مدحوا رسول الله ﷺ ، وردوا هجاءه ، وهجاء المسلمين[٥] .

قوله : ﴿ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ؛ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله عز وجل ، ولم يجعلوا الشعر همهم[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٥ب . ١٠٤ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٥ ، وتفسير مقاتل ٥٥ب ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٥ ، كلاهما من قوله : «ثم استثنى» . وأخرجه بإسناده النحاس عن ابن عباس . الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥ب . وقال مجاهد : «ابن رواحة ، وأصحابه» . تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣٤ عن ابن عباس من طريق الضحاك ، وأخرجه عنه أيضاً النحاس . الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧١ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٩ ، ولفظه : «ثم استثنى المؤمنين منهم ، يعني : الشعراء» .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٥ .

(٦) في نسخة (ج) : (همتهم) . معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٥ بنصه . فعلى هذا إمَّا أن يراد : ذكروا الله كثيراً ، في كلامهم ، على وجه العموم ، أو : ذكروا الله كثيراً في شعرهم ، وقد أخرج ابن جرير القول الأخير عن ابن زيد . وهذا القول يدل على ضرورة أن يتميز الشاعر المؤمن بكثرة ما يورد في شعره من ذكر الله تعالى ، والدعوة إليه ، والله أعلم .

﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ . قال مقاتل : وانتصروا من المشركين[١] ؛ لأن المشركين بدؤوا بالهجاء[٢] .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد إخراج المشركين إيَّاهم من مكة وبيعهم دورهم ، وعلى هذا الظلم الذي نالهم ليس الهجاء ، إنما هو ما ذكره من الإخراج عن المنزل وبيع المساكن ، وانتصارهم منهم : هجاؤهم إياهم[٣] . ومَنْ أحق بأن يُهجَى[٤] ممن كذَّب الرسول ﷺ وهجاه[٥] .

قال مقاتل : ثم أوعد شعراء المشركين فقال : ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يعني : أشركوا[٦] .

وقال الكلبي : هجوا النبي ﷺ[٧] .

وقال ابن عباس : ﴿ظُلِمُواْ﴾ المهاجرين وأخرجوهم من ديارهم ، وعلى هذا هو عام في مشركي مكة ، وهو الأَوْلى .

﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد إلى جهنم والسعير .

---

(١) تفسير مقاتل ٥٦أ .

(٢) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٧ .

(٣) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٧ ، بمعناه ، ولم ينسبه . أخرج ابن جرير ١٩/ ١٣٠ ، عن ابن عباس ، من طريق علي بن أبي طلحة ، قال : «يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين» .

(٤) في نسخة (أ) زيادة (نالهم ليس الهجاء) ، إنما هو ما ذكره من إلا ، والكلام مستقيم من دونها .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٥ بنصه .

(٦) تفسير مقاتل ٥٦أ .

(٧) تنوير المقباس ٣١٥ ، وذكره عنه السمرقندي ٢/ ٤٨٧ بلفظ : «هجوا المشركين» .

وقال أبو إسحاق : عنى أنهم ينقلبون إلى نار جهنم مخلدون فيها . وأيَّ : منصوبة بقوله : ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ لا بقوله : ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ ؛ لأن أيّاً ، وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها[١] .

وهذا مما تقدَّم الكلام فيه في مواضع من هذا الكتاب[٢] .

* * *

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٠٥ .

(٢) انظر : [الإسراء :١١٠] ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ، و[الكهف :١٢] ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ .